مفتاح الفلاح
ومصباح الأرواح

obeikan.com

obeikan.com

مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح

في ذكر الله

لابن عطاء الله السكندري

(ت ٧٠٩ هـ)

ضبط وتحقيق

الأستاذ الدكتور
عبد الرحيم الساعي

المستشار
توفيق علي وهبة

ابن عطاء الله السكندري ، أحمد بن محمد بن عبد الكريم
مفتاح الفلاح و مصباح الارواح
تأليف : ابن عطاء الله السكندري
ضبط و تحقيق : احمد عبد الرحيم السايح ، توفيق علي وهبه
ط1 – القاهرة : دار الآفاق العربية 2010
160 ص ، 24 سم
تدمك : 978-977-344-159-8
1 – الادعية و الاوراد
2 – الله (الإسلام)
أ – السايح ، احمد عبد الرحيم (ضابط و محقق)
ب - (ضابط و محقق)
جـ - العنوان
ديوي : 299.3
رقم الايداع 2009/21139

الطبعة الأولى
1431 هـ – 2010

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

دار الآفـــاق العربيـــة
نشر – توزيع – طباعة
65ش محمود طلعت من ش الطيران
مدينة نصر – القاهرة
تليفون : 22617339 تليفاكس : 22610164
EMIL: daralafk@yahoo . com
EMIL:selimafak@live.com

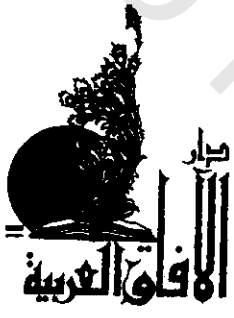

obeikan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد النبى الأمى الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الذكر عبادة يتقرب بها العبد إلى خالقه سبحانه وتعالى، وتبعده عن مسالك الشيطان ووسوسته، فكلما كان قلب الإنسان معلقا بربه، وفكره مشغول بقدرته فى خلقه، كلما ارتقت روحه، وسمت نفسه، وصفا وجدانه، فلا ينساه طرفة عين.

وكيف ينسى ربه وهو الذى خلقه، ورزقه، وفى أحسن صورة ركبه ....

إن من أوجب الواجبات على العبد شكر ربه سبحانه جل وعز لما منَّ عليه من خير، وما خصه به من نعم، فنعم الإله على العباد لا تحصى ولا تعد. ومن أفضل القرب بعد الفروض هو الذكر والدعاء. لقوله ﷺ «الدعاء مخ العبادة» وقوله ﷺ «لا يرد القضاء إلا الدعاء».

ولقد جعل الله للذاكرين والشاكرين أجرا عظيماً. فهو يظلهم فى ظله يوم لا ظل إلا ظله. ففى الحديث الشريف: «**سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله ... وذكر منهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه**».

وسأل رجل النبى ﷺ فقال: «أى الجهاد أعظم أجرا؟ قال: أكثرهم ذكرا. ثم قال: أى الصائمين أعظم؟ قال: أكثرهم ذكرا. ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج

والصدقة ورسول الله ﷺ يقول: أكثرهم ذكرا. فقال أبو بكر رضى الله عنه: ذهب الذاكرون بكل خير. فقال رسول الله ﷺ: أجل»[١].

وسئل النبى عليه صلوات الله وسلامه: أى العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: «**الذاكرون الله كثيراً**»[٢].

وعن فضل الذكر يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾[٣].

ويقول جل وعز: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً** ﴾[٤].

فذكر الله جل وعلا من أسباب الثبات فى الجهاد والنصر على الأعداء.

ويقول سيدنا رسول الله ﷺ: «**من دخل سوقا يصاح فيه ويباع فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت، بيده الخير وهو على كل شئ قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ويرفع له ألف ألف درجة**»[٥].

والذكر مشروع فى جميع الأوقات، ويتأكد عقيب الصلوات الخمس ويشرع بعد صلاة الفجر إلى أن تطلع الشمس وبعد العصر حتى تغرب الشمس، وقد ورد ذكر هذين الوقتين فى العديد من آيات القرآن الكريم كقوله سبحانه وتعالى:

---

(١) رواه الإمام أحمد من حديث سهل بن معاذ.

(٢) رواه أحمد.

(٣) سورة الرعد: آية ٢٨.

(٤) سورة الأنفال: آية ٤٥.

(٥) رواه الترمذى وابن ماجه.

﴿ وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾وقوله: ﴿ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ﴾وقوله: ﴿ وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾(١). وقوله ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾(٢). وقوله: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾(٣).

ويستحب الذكر أيضا بين الأذان والإقامة، وفى السجود وبين السجدتين وعند النوم وعند الاستيقاظ بل وكلما تقلب فى نومه لقوله ﷺ: «**من تعار من الليل فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: رب اغفر لى، أو قال: ثم دعا استجيب له، فإن عزم فتوضأ ثم صلى قبلت صلاته**»(٤).

وعلى العموم فإن الذكر مطلوب فى أى وقت ليلا أو نهارا.

فاللهم اجعلنا لك من الذاكرين لك من الشاكرين، وعندك من المقبولين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وهذا الكتاب (**مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح**) ألفه العالم الصوفى الشهير ابن عطاء الله السكندرى رحمه الله وخصصه لذكر الله سبحانه وتعالى:

قال فى تقديمه للكتاب: «إن ذكر الله تعالى مفتاح الفلاح، ومصباح الأرواح، بفضل الكريم الفتاح، وهو العمدة فى الطريق ومعول أهل التحقيق ..

---

(١) سورة آل عمران: آية ٤١.

(٢) سورة الأعراف: آية ٢٠٥.

(٣) سورة ق: آية ٣٩.

(٤) رواه البخارى.

ولم أر من صنف فيه كتابا كاملا كافيا، ولا مجموعا شاملا شافيًا، دعانى ذلك إلى أن شرعت فى كتاب جمعت فيه منه ما تيسر، وعرفت منه ما تنكر». أ. هـ.

وقسم رحمه الله الكتاب إلى قسمين:

القسم الأول: فى ماهية الذكر وبيانه.

القسم الثانى: فى شرح الأذكار.

وختم الكتاب بما ورد من الأذكار فى أحوال وأوقات فى الليل والنهار وهذا الكتاب النفيس فريد فى بابه، لم ينسج على منوال كتاب سابق.

وقد رأينا تحقيق هذا الكتاب وتقديمه ليتنفع به كل مسلم بعد أن قدمنا كتابا نفيسا قبله للإمام ابن عطاء الله السكندرى هو: إسم الله الأعظم المسمى: «القصد المجرد فى الأسم المفرد».

داعين المولى سبحانه وتعالى أن ينفع بهما، وأن يجزل الثواب لمؤلفهما، وان يكتب لنا ولكم ولسائر المؤمنين والمؤمنات النجاة يوم نلقاه وأن يحشرنا فى مستقر رحمته ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾[1].

اللهم اجعلنا لك من الذاكرين، لك من الحامدين، لك من الشاكرين، وعندك من المقبولين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المحققان

أ.د أحمد عبد الرحيم السايح . والمستشار توفيق على وهبة

---

(١) سورة النساء: آية ٦٩.

ابن عطاء الله السكندرى

(٧٠٩هـ = ١٣٠٩م)

هو الإمام أبو العباس:

أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء الله السكندرى دارًا الجذامى نسبًا. المالكى مذهبا، الصوفى مشربًا. وكنيته: أبو الفضل، وأبو العباس، تاج الدين، أحد أعلام القرن السابع الهجرى.

كان عالما فقيهًا متكلمًا زاهدًا، جمع بين رئاسة علوم الشريعة ورئاسة علوم الحقيقة وكان متشرعًا، بل رأس علماء الشريعة، وعلماء الحقيقة.

توفى عام ٧٠٩هـ الموافق ١٣٠٩م.

لم تذكر المصادر المتاحة سنة مولده، وإنما تحدثت عن حياته ونشأته، وأنه تبحر فى دراسة جميع العلوم من التفسير وحديث وفقه وتصوف وعقيدة وأصول ونحو ولغة وبلاغة كما تنقل فى طلب العلم بين القاهرة والإسكندرية ودرس على كثير من علماء عصره، كما كان أعجوبة زمانه متكلما على طريق أهل التصوف، واعظًا انتفع به خلق كثير، وسلكوا طريقه وكان شاذلى الطريقة ينتمى إلى أبى الحسن الشاذلى وأخذ طريقته عن أبى العباس المرسى عن الشيخ أبى الحسن.

ويرجع سبب دخوله للتصوف إلى أمر عجيب، وهو أنه كان فى بداية حياته من المناكرين للتصوف، المعترضين عليه.

وقد ذكر ابن عطاء الله ذلك بنفسه فى كتابه «لطائف المنن فى مناقب أبى العباس وشيخه أبى الحسن» فقال:

« كنت لأمره – أى الشيخ أبى العباس – من المنكرين، وعليه من المعترضين، لا لشئ صح نقله، ولكن جرت المخاصمة بينى وبين أصحابه فقلت فيهم قولاً عظيمًا، ثم قلت فى نفسى: دعنى أذهب أنظر هذا الرجل فصاحب الحق له أمارات لا يخفى شأنه... فأتيت إلى مجلسه....فوجدته يتكلم فى الأنفاس، ومسألة السالكين إلى الله، ومدى معرفتهم به، وقربهم منه، فقال:

الأول: الإسلام.

وثانيها: الإيمان،: وهو مقام معرفة حقيقة الشرع بمعرفة لوازم العبودية.

وثالثها: الإحسان، وهو: مقام شهود الحق تعالى فى القلب، وإذا شئت قلت.

الأول: عبادة.

والثانى: عبودية.

والثالث: تحقق.

فما زال يقول: إن شئت قلت، وإن شئت قلت، وإن شئت قلت، إلى أن بهر عقلى وسلب لبى، فعلمت أن الرجل إنما يغترف من فيض بحر إلهى، ومدد ربانى، فأذهب الله ما كان عندى.

ثم أتيت تلك الليلة إلى المنزل، فلم أجد فى شيئا يقبل الاجتماع بالأهل على عادتى، ووجدت معنى غريبا لا أدرى ما هو؟ فانفردت فى مكان أنظر إلى السماء وكواكبها، وما خلق الله فيها من عجائب قدرته، فلمس قلبى أشياء لم أعرفها من قبل فحملنى ذلك على العودة إليه مرة أخرى، فأتيت إليه فاستؤذن لى عليه، فلما دخلت إليه قام قائما. وتلقانى ببشاشة وإقبال حتى دهشت خجلا، واستصغرت نفسى أن أكون أهلا لذلك، فكان أول ما قلت له يا سيدى أنا والله أحبك،

فقال: أحبك الله كما أحببتنى، ثم شكوت إليه ما أجده من هموم وأحزان، فقال: أحوال العبد أربع لا خامس لها: النعمة، والبلية، والطاعة، والمعصية.

فإن كنت فى النعمة فمقتضى الحق منك الشكر.

وإن كنت بالبلية فمقتضى الحق منك الصبر.

وإن كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود منته عليك.

وإن كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار.

فقمت من عنده وكأنما كانت الهموم والأحزان ثوبا نزعته. ثم سألنى بعد ذلك بمدة: كيف حالك؟ فقلت: أفتش عن الهم فلم أجده، فقال:

ليلى بوجهك مشرق وظلامه فى الناس سادى

والناس فى سدف الظلام ونحن فى ضوء النهار

إلزم، فو الله لئن لزمت لتكونن مفتيًا فى المذهبين: فى علوم الظاهر، وحقائق الباطن.

ولازم ابن عطاء الله أستاذه، ثم كان بعده شيخ الطريقة الشاذلية.

كان – رحمه الله – ممن جند نفسه وقلمه للدعوة إلى الله على بصيرة وكتب كثيراً من الدرر والآثار التى تدل على أصالة مذهبه وعمق فكرته، وقوة إيمانه، وشدة إخلاصه لله عز وجل، وإليه ينسب الفضل الكبير فى بيان ما ينشر الآن من آثار الشيخ أبى العباس المرسى وفى بيان الكثير أيضا عن الإمام أبى الحسن الشاذلى– رحمهم الله –.

ثم كان بعد ذلك مثالا عاليًا للفكر الصوفى المستنير الذى يضعه فى الصف الأول من صفوف المقربين.

قال عنه الحافظ: وكانت له خلال عجيبة، ووقع فى النفوس، ومشاركة فى الفضائل، ورأيت الشيخ تاج الدين الفاروقى، لما رجع من مصر، معظمًا لوعظه وإشارته.

وكان يتكلم بالجامع الأزهر، يمزج كلام القوم بآثار عن السلف، وفنون من العلم فكثر أتباعه وكان عليه سيمات الخير. رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له الثواب جزاء ما قدم للاسلام والمسلمين.

مؤلفاته

له مؤلفات عديدة منها:

١- التنوير فى إسقاط التدبير.

٢- لطائف المنن فى مناقب أبى العباس المرسى وشيخه أبى الحسن.

٣- القول المجرد فى معرفة الاسم المفرد وقد قمنا بتحقيقه تحت عنوان «اسم الله الأعظم» المسمى: «القول المجرد فى معرفة الاسم المفرد» - نشر مكتبة النافذة.

٤- تاج العروس فى تهذيب النفوس. حققه المستشار توفيق على وهيه.

٥- مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح. وهو الكتاب محل التحقيق.

٦- عنوان التوفيق شرح قصيدة أبى مدين التلمسانى.

٧- الحكم العطائية، وهو من أشهر ما كتبه ابن عطاء الله وقد قام بشرحها كثير من العلماء فى القديم والحديث ومنهم: ابن عجيبة، وابن عباد النفرى، والشيخ الشرقاوى، والشيخ الشرنوبى، والشيخ زروق وغيرهم، وجميع هذه المؤلفات مطبوعة ومتداولة.

مقدمة

المؤلف

obeikan.com

obeikan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

[فاعلم أنه لا إله إلا الله](١)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

الحمد لله فاتح أقفال القلوب بذكره، وكاشف أستار العيوب ببره، ومطهر السرائر لإيداع سره، ومظهر العجائب من عالم أمره، ورافع أعلام الزيادة للقائم بشكره.

أحمده على أن جعلنى من أهل التوحيد، وأشكره طالبا لفضله ومزيده. وأصلى على سيدنا محمد أشرف عبيده، وعلى آله وأصحابه الحائزين لطويل الفضل ومديده.

وبعد:

فإن ذكر الله تعالى مفتاح الفلاح، ومصباح الأرواح، بفضل الله الكريم الفتاح، وهو العمدة فى الطريق، ومعول أهل التحقيق: ولم أر من صنف فيه كتاباً كاملاً كافياً، ولا مجموعاً شاملاً شافياً، دعانى ذلك مع إشارة أخ صالح، محب للنصائح، إلى أن شرعت فى كتاب جمعت فيه منه ما تيسر، وعرفت منه ما تنكر، أرحت به الطالب من المتاعب، ومنحت به الراغب فى المواهب. راجيا من الله تعالى فى ذلك الثواب، ودعاء طالب ظفر بمطلوبه من الطلاب:

يا سائراً نحو بلاد الحمى ... لا تنسنى عند محط الرحال

وعلى الله تعالى أعتمد، وبه أعتضد. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

ورتبته على قسمين: [**القسم الأول**] على مقدمة وفصول وأبواب وأصول.

[**والقسم الثانى** فى شرح الأذكار وفيه فصول وخاتمة هى من جملة الأصول](٢).

---

(١) [سورة محمد: آية ١٥].

(٢) ما بين المعقوفتين ليست فى الأصل وقد أثبتناها إتماماً للفائدة، وبيانا لما اشتمل عليه الكتاب

مقدمة القسم الأول
فى ماهية الذكر وبيانه

الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الحق. وقيل: ترديد اسم المذكور بالقلب واللسان. وسواء فى ذلك ذكر الله أو صفة من صفاته، أو حكم من أحكامه، أو فعل من أفعاله، أو استدلال على شئ من ذلك، أو دعاء، أو ذكر رسله، أو أنبيائه، أو أوليائه، أو من انتسب إليه، أو تقرب إليه بوجه من الوجوه، أو سبب من الأسباب، أو فعل من الأفعال: بنحو قراءة أو ذكر، أو شعر، أو غناء، أو محاضرة، أو حكاية. فالمتكلم ذاكر، والمتفقه ذاكر، والمدرس ذاكر، والمفتى ذاكر، والواعظ ذاكر، والمتفكر فى عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وآياته فى أرضه وسمواته ذاكر، والممتثل ما أمر الله به والمنتهى عما نهى عنه ذاكر. والذكر قد يكون باللسان وقد يكون بالجنان وقد يكون بأعضاء الإنسان، وقد يكون بالإعلان والاجهار، والجامع لذلك كله ذاكر كامل.

فذكر اللسان هو ذكر الحروف بلا حضور، وهو الذكر الظاهر وله فضل عظيم شهدت به الآيات والأخبار والآثار. فمنه المقيد بالزمان، أو بالمكان، ومنه المطلق.

فالمقيد كالذكر فى الصلاة وعقبها، والحج، وقبل النوم، وبعد اليقظة، وقبل الأكل، وعند ركوب الدابة، وطرفى النهار، وغير ذلك.

والمطلق ما لا يتقيد بزمان ولا مكان ولا وقت ولا حال. فمنه ما هو ثناء على الله كما فى كل واحدة من هذه الكلمات وهى: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. ومنه ما هو ذكر فيه دعاء مثل:

﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾(١).

أو مناجاة وكذلك: اللهم صل على سيدنا محمد وهو أشد تأثيراً فى قلب المبتدئ من الذكر الذى لا يتضمن المناجاة، لأن المناجى يشعر قلبه قرب من يناجيه، وهو مما يؤثر فى قلبه ويلبسه الخشية، ومنه ما هو ذكر فيه رعاية أو طلب دنيوى أو أخروى. فالرعاية مثل قولك: الله معى، الله ناظر إلى الله يرانى، فإنه فيه رعاية لمصلحة القلب، فإنه ذكر يستعمل لتقوية الحضور مع الله تعالى وحفظ الأدب معه، والتحرز من الغفلة والاعتصام من الشيطان الرجيم وحضور القلب مع العبادات.

فصل

[نتيجة الذكر]

وما من ذكر إلا وله نتيجة تخصه. فأى ذكر اشتغلت به أعطاك ما فوقه، والذكر مع الاستعداد هو الداعى إلى الفتح، ولكن بما يناسب الذاكر.

قال الإمام الغزالى: الذكر حقيقة نمو استيلاء المذكور على القلب، وانمحاء الذكر وخفاؤه.

قال: لكن له ثلاث قشور بعضها أقرب إلى اللب من البعض، واللب وراء الثلاث: وإنما فضل القشور لكونها طريقا إليه. فالقشر الأعلى: ذكر اللسان فقط، ولا يزال الذاكر يوالى الذكر بلسانه ويتكلف إحضار القلب معه. إذ القلب يحتاج

---

(١) ﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

[سورة البقرة: آية ٢٨٦].

إلى موافقته حتى يحضر مع الذكر، ولو ترك وطبعه لا سترسل فى أودية الأفكار إلى أن يشارك القلب اللسان، ويحرق نور القلب الشهوات والشياطين، ويستولى ذكره فيضعف ذكر اللسان عند ذلك وتمتلئ الجوارح والجوانح بالأنوار، ويتطهر القلب من الأغيار وينقطع الوسواس ولا يسكن بساحته الخناس ويصير محلا للواردات ومرآة صقيلة للتجليات والمعارف الإلهية، وإذا سرى الذكر إلى القلب، وانتشر فى الجوارح فذكرا الله كل عضو بحسب حاله.

قال الجريرى: كان من أصحابنا رجل يكثر أن يقول: الله الله فوقع يوما على رأسه جذع فشج وسقط الدم فاكتتب على الأرض الله لله.

فصل
[الذكر يحرق الخبيث]

الذكر نار لا تبقى ولا تذر، فإذا دخل بيتا يقول أنا لا غيرى، وهو من معانى لا إله إلا الله، فإن وجد فيه حطباً أحرقه، فصار نارا، وإن كان فيه ظلمة كان نورا فنوره: وإن كان فيه نور صار نورا على نور. والذكر يذهب من الجسد الأجزاء الزائدة الحاصلة من الأسراف فى الأكل، ومن تناول اللقم الحرام. وأما الحاصلة من الحلال فلا يد له عليها فإذا احترقت الأجزاء الخبيثة، وبقيت الأجزاء الطيبة، سمعت من كل جزء ذكرا كأنه ينفخ فى البوق وأولا يقع الذكر فى دائرة الرأس فتجد فيه صوت البوق والكؤوس: والذكر سلطان إذا نزل موضعا نزل ببوقاته وكؤوساته لأن الذكر ضد ماسوى الحق، فإذا وقع فى موضوع اشتغل بنفى الضد كما نجده من اجتماع الماء والنار، وبعد هذه الأصوات تسمع أصوات مختلفة، مثل خرير الماء، ودوى الريح، وصوت النار إذا تأججت، وصوت الأرحية، وخبط الخيل، وصوت أوراق الأشجار إذا هبت عليها الريح، وذلك أن الآدمى مركب من

كل جوهر شريف ووضيع من التراب والماء والنار والهواء والأرض والسماء وما بينهما: فهذه الأصوات إذ كان كل أصل وعنصر من هذه الجواهر، ومن سمع منه شئ من هذه الأصوات، فقد سبح الله، وقدسه بكل لسان، وذلك نتيجة ذكر اللسان بقوة الاستغراق، وربما صار العبد إلى حالة إذا سكت عن الذكر تحرك القلب فى الصدر حركة الولد فى بطن أمه بطلب ذكر.

قالوا: فإن القلب مثل عيسى ابن مريم عليه السلام، والذكر لبنه، وإذا كبر وقوى صعد منه حنين إلى الحق وصوت وصعقات ضرورية شوقا إلى الذكر والمذكور. وذكر القلب شبه رنة النحل لا صوت رفيع مشوش، ولا خفى شديد الخفا، وإذا استمكن المذكور من القلب، وانمحى الذكر، وخفى فلا يلتفت الذاكر إلى الذكر، ولا إلى القلب. فإن ظهر له فى أثناء ذلك التفات إلى الذكر أو إلى القلب، فذلك حجاب شاغل وذلك هو الفناء: وهو أن يفنى الإنسان عن نفسه فلا يحس بشئ من ظواهر جوارحه، ولا الأشياء الخارجة عنه، ولا العوارض الباطنة فيه، بل يغيب عن جميع ذلك، ويغيب عنه جميع ذلك ذاهبا إلى ربه أولا، ثم ذاهبا إليه أخرى، فإن خطر له فى أثناء ذلك أنه فنى عن نفسه بالكلية فذلك شوب وكدورة والكمال أن يفنى عن نفسه وعن الفناء؛ والفناء عن الفناء غاية الفناء والفناء أول الطريق، وهو الذهاب إلى الله تعالى وإنما الهدى بعد وأعنى بالهدى هدى الله كما قال عليه الصلاة والسلام:

﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾(١).

وهذا الاستغراق قل ما يثبت ويدوم، فإن دام صارت عادة راسخة وهيئة ثابتة عرج به إلى العالم الأعلى: وطالع الوجد الحقيقى الأصفى وانطبع له نقش

---

(١) [سورة الصافات آية: ٩٩]

المكتوب، وتجلى له قدس اللاهوت: وأول ما يتمثل له من ذلك العالم جواهر الملائكة، وأرواح الأنبياء، والأولياء فى صورة جميلة تفاض عليه بواسطتها بعض الحقائق، وذلك فى البداية إلى أن تعلو درجة عن المثال ويكافح بتصريح الحق فى كل شئ.

فهذه ثمرة لباب الذكر وإنما مبدؤها ذكر اللسان، ثم ذكر القلب تكلفا ثم ذكره طبعا، ثم استيلاء المذكور، وانمحاء الذكر، وهذا سر قوله ﷺ:

« من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله ».

بل وسر قوله ﷺ:

« يفضل الذكر الخفى على الذكر الذى تسمعه الحفظة سبعين ضعفا ».

وعلامة وقوع الذكر إلى سر: غيبة الذاكر عن الذكر والمذكور، فذكر السر الهيمان والغرق فيه.

ومن علاماته، أنك إذا تركت الذكر لم يتركك وذلك طيران الذكر فيك لينبهك عن الغيبة إلى الحضور.

ومن علاماته أنه لا تخمد نيرانه، ولا تذهب أنواره، بل ترى أبدا أنواره صاعدة وأخرى نازلة، والنيران حواليك صافية تتأجج وتتقد، وإذا وقع الذكر إلى السر يكون الذكر عند سكوت الذاكر، كأنه غرز الإبر فى لسانه أو أن وجهه كله لسان يذكر بنور فائض عنه.

(دقيقة) اعلم أن ذكر يشعر به قلبك تسمعه الحفظة، فإن شعورهم يقارن شعورك، وفيه سر حتى إذا غاب ذكرك عن شعورك بذهابك فى المذكور حتى بالكلية يغيب ذكرك عن شعور الحفظة.

(تنبيه) ذكر الحروف بلا حضور ذكر اللسان، وذكر الحضور فى القلب ذكر القلب، وذكر الغيبة عن الحضور فى المذكور ذكر السر وهو الذكر الخفى.

فصل

ورزق الظاهر بحركات الأجسام، ورزق الباطن بحركات القلوب، ورزق الأسرار بالسكون، ورزق العقول بالفناء عن السكون، حتى يسكون العبد ساكنا لله مع الله. وليس فى الأغذية قوت للأرواح، وإنما هى غذاء الأشباح وقوت الأرواح والقلوب ذكر الله علام الغيوب.

قال تعالى ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾(١).

فإذا ذكرت الله تعالى ذكر معك كل من يسمعك، لأنك تذكر بلسانك ثم بقلبك، ثم بنفسك، ثم بروحك؛ ثم بعقلك، ثم بسرك ذلك فى الذكر الواحد؛ فإذا ذكرت الله تعالى بلسانك ذكر مع ذكر لسانك الجمادات كلها، وإذا ذكرت بقلبك ذكر مع قلبك الكون ومن فيه من عوالم الله، وإذا ذكرت بنفسك ذكر معك السموات ومن فيها، وإذا ذكرت بروحك ذكر معك الكرسي ومن فيه من عوالمه، وإذا ذكرت بعقلك ذكر معك حملة العرش ومن طاف به من الملائكة الكروبيين والأرواح المقربين، وإذا ذكرت بسرك ذكر معك العرش بجميع عوالمه إلى أن يتصل الذكر بالذات.

(تتمة) النفس هو الجواهر البخارى اللطيف الحامل لقوة الحياة، والحس والحركة الإرادية وسماها الحكيم: الروح الحيوانية وهى الواسطة بين القلب الذى هو النفس الناطقة وبين البدن، قيل وهى المشار إليها فى القرآن العزيز بالشجرة

---

(١) [سورة الرعد: آية ٢٨].

الزيتونية الموصوفة بكونها مباركة لا شرقية ولا غربية لا زيادة رتبة الإنسان وتزكيته بها، ولكونها ليست من شرق عالم الإرواح المجردة، ولا من غرب الأجساد الكثيفة وهي أمارة ولوامة ومطمئنة.

فالنفس الأمارة بالسوء هي التي تميل إلى الطبيعة البدنية وتأمر بالذات والشهوات الحسية، وتجذب القلب إلى الجهة السفيلة، وهي مأوى الشر ومنبع الأخلاق الذميمة والأفعال السيئة، وهي نفس العامة؛ وهي مظلمة والذكر لها كالسراج الموقد في البيت المظلم، والنفس اللوامة وهي التي تنورت بنور القلب تنورا ما، قدر ما تنبهت به عن سنة الغفلة، فتيقظت وبدأت بإصلاح حالها مترددة بين جهتي الربوبية والخلقية، وكلما صدر منها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية وسجيتها، تداركها نور التنبيه الإلهي فأخذت تلوم نفسها، وتتوب عنها مستغفرة راجعة إلى باب الغفار الرحيم، فلهذا نوه الله بذكرها بالإقسام بها في قوله تعالى:

﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾(١).

وكأنها تبصر كأنها في بيت ملآن من كل مذموم كنجاسة وكلب وخنزير وفهد ونمر وفيل فتجتهد في إخراجها من بعد أن تلطخت بأنواع النجاسات وتجرحت من أنواع السباع، فتلازم الذكر والإنابة حتى يظهر سلطان الذكر عليهم، فيخرجهم ثم يقرب من الظلمانية، فلا تزال تجتهد في جمع أثاث البيت، حتى يتزين البيت بأنواع المحمودات فيتجلى بها ويصلح البيت لنزول السلطان فيه، فإذا نزل فيه السلطان وتجلى الحق عادت مطمئنة وهي التي تم تنورها بنور القلب، حتى اتخلعت عن صفاتها الذميمة، وتخلقت بالأخلاق الحميدة وتوجهت إلى جهة القلب بالكلية متابعة له في الترقي إلى جناب عالم القدس، منزهة عن جانب الرجس مواظبة على الطاعات ساكنة إلى حضرة رفيع الدرجات، حتى خاطبها ربها بقوله:

---

(١) [سورة القيامة: آية ١-٢].

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾(١).

الأصل الأول

في دليله من الكتاب

قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾(٢).

وقال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾(٣).

وقال تعالى ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٤).

وقال تعالى ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾(٥).

وقال تعالى ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾(٦).

وقال تعالى ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾(٧).

---

(١) [سورة الفجر: آية ٢٧-٣٠].

(٢) [سورة الأحزاب: آية ٤١ - ٤٢].

(٣) [سورة آل عمران: آية ١٩١].

(٤) [سورة الأحزاب: آية ٣٥].

(٥) [سورة البقرة: آية ١٥٢].

(٦) [سورة الرعد: آية ٢٨].

(٧) [سورة آل عمران: آية ٤١].

وقال تعالى ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾(١).

الأصل الثانى

فى دليله من السنة

فصل

فيما ورد فى فضل الذكر والاجتماع عليه

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: خرج معاوية على حلقة فى المسجد، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا: آلله ما أجلسنا غيره، قال أما إنى ما أستحلفكم تهمة لكم وما كان أحد بمنزلتى من رسول الله ﷺ ولا أقل حديثا منى وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال:

« ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن علينا، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذلك. قال أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله تعالى يباهى بكم الملائكة »(٢).

وزاد رزين قال ثم حدثنا فقال:

« ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ويذكرون الله إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده »(٣).

---

(١) [سورة الإنسان: آية ٢٥].

(٢) روى مسلم والترمذى وروى النسائى بعضه.

(٣) روى مسلم والنسائى الجزء الأول من الحديث وزاد رزين فى وروايته باقى الحديث.

وعن أبى مسلم الأغر، قال: أشهد على أبى هريرة وأبى سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال:

« لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده »(١).

والسكينة: من السكون والطمأنينة.

قال القاضى عياض فى قوله ﷺ:

« تلك السكينة نزلت لقراءة القرآن ».

هى الرحمة، وقيل الطمأنينة، وقيل الوقار، وما يسكن به الإنسان مخففة الكاف هذا هو المعروف.

وحكى عن بعض اللغوين فيها التشديد وذكر عن الفراء والكسائى، وقد يحتمل أن التى تنزلت لقراءة القرآن: السكينة التى ذكر الله بقوله:

﴿ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾(٢).

وقد قيل إنما سر كالريح وقيل خلق له وجه كوجه الإنسان، وقيل روح من الله يكلمهم ويهديهم إذا اختلفوا عن شئ، وقيل فيه غير هذا، وما ذكرنا يحتمل أن يتنزل مثل هذا على من قرأ القرآن أو يجتمع للذكر لأنها من جملة الروح والملائكة، والله أعلم.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

« كان رسول الله ﷺ يسير فى طريق مكة على جبل يقال له جمدان،

---

(١) رواه مسلم والترمذى.

(٢) [سورة البقرة: آية ٢٤٨].

فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون، قالو: وما المفرِّدون يا رسول الله؟ قال الذاكرون الله كثيرا»(١).

وفى رواية الترمذى: «**قال يا رسول الله وما المفردون؟ قال المستهترون بذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافا**»(٢).

المفردون بفتح الفاء وكسر الراء المشددة، وقيل بإسكان الفاء وكسر الراء، ويقال: فرد الرجل فى رأيه، وفرد بالتخفيف. والتشديد، وأفرد، واستفرد كله بمعنى أى استقل وتخلى بتدبيره. والمراد به الذين تفردوا بذكر الله، وقيل هم الذين هلك أترابهم من الناس، وذهب القرن الذين كانوا فيه، وبقوا بعدهم، فهم يذكرون الله، والمستهتر بالشئ المولع به المواظب عليه عن حب ورغبة فيه.

وقال القاضى عياض فى المشارق: قال ابن الأعرابى: يقال فرد الرجل بتشديد الراء إذا تفقه واعتزل الناس وخلا بنفسه وحده مراعيا للأمر والنهى.

قال الأزهرى: هم الذين تخلوا بذكر الله لا يخلطون به غيره، وقيل معنى أهتروا: أصابهم خبال، وقيل المفردون: الموحدون الذين لا يذكرون إلا الله أخلصوا لله عبادتهم، ويقال معناه مثل قولهم: فنى فلان فى طاعة الله أى لم يزل مداوما لها، حتى فنى بالهرم وذهاب القوة. وقيل معنى أهتروا أولعوا.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال فيسأ لهم ربهم وهو أعلم بهم: ما يقول عبادى؟ قال**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذى.

يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال فيقول: هل رأونى؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك قال: فيقول: كيف لو رأونى، قال يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا، وأكثر لك تسبيحا قال فيقول: فما يسألون: قال يقولون: يسألونك الجنة، قال فيقول: هل رأوها؟ قال فيقولون: لا والله ما رأوها يا رب، قال يقول: فكيف لو رأوها؟ قال يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة، قال فمم يتعوذون؟ قال يتعوذون من النار، قال فيقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة، قال فيقول: أشهد كم أنى قد غفرت لهم، قال يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم»(١).

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: وما رياض الجنة؟ قال حلق الذكر»(٢).

وعن الإمام أحمد روى عن ابن مسعود قال:

«إن الشيطان طاف بأهل مجلس ذكر فلم يستطع أن يفرق بينهم فأتى حلقة يذكرون الدنيا فأغوى بينهم حتى اقتتلوا، فقام أهل الذكر فحجزوا بينهم فتفرقوا»(٣).

---

(١) رواه البخارى.

(٢) رواه الترمذى.

(٣) رواه أحمد في المسند.

فصل

فى فضل الذاكر على غيره

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« ما قال عبد لا إله إلا الله مخلصا من قلبه إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضى إلى العرش ما أجتنبت الكبائر »(١).

قال مالك: بلغنى أن رسول الله ﷺ كان يقول:

« ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل خلف الفارين، وذاكر الله فى الغافلين كغصن أخضر فى شجر يابس »(٢).

وفى رواية **« مثل الشجرة الخضراء فى وسط الشجر، وذاكر الله فى الغافلين مثل مصباح فى بيت مظلم، وذاكر الله فى الغافلين يريه الله مقعده فى الجنة وهو حى، وذاكر الله فى الغافلين يغفر له بعدد كل فصيح وأعجم »**(٣).

والفصيح بنو آدم والأعجم البهائم.

وعن معاذ بن جبل: **« ما عمل العبد عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله »**(٤).

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل:

« أى العباد أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: الذاكرون الله

---

(١) رواه الترمذى.

(٢) رواه مالك في الموطأ.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية.

(٤) رواه مالك في الموطأ.

كثيرا، قيل: يا رسول الله والغازى فى سبيل الله؟ قال: لو ضرب بسيفه حتى ينكسر ويتخضب دما فإن ذاكر الله أفضل منه درجة»(١).

وفى رواية ذكرها رزين قال:

«سئل رسول الله ﷺ: أى العبادة أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: ذكر الله تعالى».

وعن أبى موسى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال:

«مثل البيت الذى يذكر الله فيه والبيت الذى لا يذكر فيه كمثل الحى والميت»(٢).

وعند البخارى: «مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت»(٣).

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى، فإذا ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإذا ذكرنى فى ملإٍ ذكرته فى ملإٍ خير منه، وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة»(٤).

عن أبى أمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) رواه الترمذى.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخارى.

(٤) رواه البخارى ومسلم والترمذى.

« من آوى إلى فراشه طاهرا يذكر الله حتى يدركه النعاس لم يتقلب من ليل يسأله الله خيرى الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله أياه »(١).

وعن عمر رضى الله عنه:

« أن النبى ﷺ بعث بعثا قبل نجد فغنموا غنائم كثيرة، وأسرعوا الرجعة، فقال رجل ممن لم يخرج: ما رأينا بعثا أسرع رجعة ولا أفضل غنيمة من هذا البعث، فقال النبى ﷺ: ألا أدلكم على قوم أفضل من الغنيمة وأسرع رجعة؟ قوم شهدوا صلاة الصبح ثم جلسوا يذكرون الله تعالى حتى طلعت الشمس فأولئك أسرع رجعة وأفضل غنيمة »(٢).

فصل

عن عبد الله بن بشر:

« أن رجلا قال: يا رسول الله، إن أبواب الخير كثيرة، لا أستطيع القيام بكلها، فأخبرنى بشئ أتشبث به ولا تكثر على فأنسى ».

وفى رواية: « إن شرائع الإسلام قد كثرت وأنا قد كبرت فأخبرنى بشئ أتشبث به ولا تكثر على فأنسى، قال: لا يزال لسانك رطبا بذكر الله »(٣).

عن عائشة رضى الله عنها قالت:

« كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه »(٤).

---

(١) رواه الترمذى.

(٢) رواه الترمذى.

(٣) رواه الترمذى.

(٤) رواه مسلم وأبو داود والترمذى.

باب
الجهر بالذكر

عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت أبدا، بيده الخير وهو على كل شئ قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة».

وفى رواية عوض الثالثة: **«وبنى له بيتا فى الجنة»**(١).

وفى رواية أن رسول الله ﷺ قال:

«من دخل السوق فنادى بأعلى صوته». وذكر الحديث إلى قوله: قدير، ثم قال: «كتب له ألف حسنة».

وفى البخارى، عن أبى سعيد مولى ابن عباس: أن ابن عباس أخبره أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله ﷺ. قال ابن عباس: كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك.

وقال عليه الصلاة والسلام:

«من ذكرنى فى ملإٍ ذكرته فى ملإٍ خير منه»(٢).

ويروى أن الصديق رضى الله عنه كان يخافت فى صلاته بالليل ولا يرفع صوته بالقراءة. وكان عمر يجهر فى صلاته، فسأل رسول الله ﷺ أبا بكر على فعله: فقال: من أناجيه يسمع كلامى: وسأل عمر فقال: أوقظ الوسنان وأطرد

---

(١) رواه الترمذى.

(٢) رواه البخارى.

الشيطان وأرضى الرحمن فأمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يرفع صوته قليلا وأمر عمر أن يخفضه قليلا ألا ترى أنه ﷺ أمر أبا بكر برفع الصوت وهو الجهر، ولم يأمر عمر بالإسرار بل بخفض الصوت، وذلك ليس بالإسرار، وإذا كان هذا في القرآن وهو أفضل الذكر فغيره كذلك بل أولى. وينبغي للذاكر إذا كان وحده إذا كان من الخاصة أن يخفض صوته بالذكر، وأن كان من العامة أن يجهر به، وإن كان الذاكرون جماعة فالأولى في حقهم رفع الصوت بالذكر مع توافق الأصوات بطريقة واحدة وموازنة. قال بعضهم: مثل ذكر الواحد وحده وذكر الجماعة، كمثل مؤذن واحد ومؤذنين جماعة فكما أن أصوات المؤذنين جماعة يقطع جرم الهواء أكثر مما يقطعه صوت واحد كذلك ذكر جماعة القلب من ذكر واحد وحده. أيضا يحصل لكل واحد ثواب ذكر نفسه، وثواب سماع الذكر من غيره وشبه الله القلوب القاسية بالحجارة في قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾(١).

والحجارة لا تنكسر إلا بقوة، فكذلك قساوة القلب لا تزول إلا بالذاكر القوى.

فصل

في التحذير من ترك الذكر

قال تعالى:

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(٢).

---

(١) [سورة البقرة: آية ٧٤].
(٢) [سورة الزخرف: آية ٣٦ – ٣٧].

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كان عليه من الله ترة ومن اضطجع مضجعا لم يذكر الله فيه كان عليه من الله ترة»(١).

«ما جلس قوم مجلسا لم يذكر الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم»(٢).

وعنه قال قال رسول الله ﷺ:

«ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا على أنتن من جيفة حمار وكان عليهم حسرة»(٣).

وأصل الترة: النقص، ومعناها هنا التبعة، يقال وترت الرجل ترة على وزن وعدته عدة.

وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ:

«ليس يتحسر أهل الجنة إلاعلى ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها»(٤). **ويروى: «أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشانة إلا الذاكر الله تعالى»**.

وقال سهل: ما أعلم معصية أقبح من ترك ذكر هذا الرب. قال النووى: لكل شئ عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن الذكر.

فصل

من آثار السلف رضى الله عنهم

قال أنس بن مالك: ذكر الله علامة على الإيمان، وبراءة من النفاق،

---

(١) رواه أبو داود

(٢) رواه الترمذى.

(٣) رواه أبو داود.

(٤) رواه ابن السنى في عمل اليوم والليلة.

وحصن من الشيطان، وحرز من النار. وقال مالك بن دينار: ومن لم يأنس بحديث الله تعالى عن حديث الخلق فقد قل عمله، وعمي قلبه، وضاع عمره. وقال الحسن: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، والذكر، وقراءة القرآن، فإن وجدتم ذلك وإلا فاعلموا أن الباب مغلق، لأن كل قلب لا يعرف الله لا يأنس بذكر الله، ولا يسكن إليه. قال تعالى:

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾(١).

وقال بعض العارفين: رزق الظاهر بحركات الأجسام، ورزق الباطن بحركات القلب، ورزق الأسرار بالسكون، ورزق العقول بالفناء عن السكون، حتى يكون العبد ساكتا لله بالله ومع الله: وقيل: من قام لله بحقيقة الذكر، والحمد، والشكر سخر له الأكوان والعالم جميعه.

وقال مطرف ابن أبي بكر: المحب لا يسأم من حديث حبيبه. وقيل: من لم يجد وحشة الغفلة لم يجد طعم أنس الذكر. وقال عطاء: الصاعقة لا تنزل على ذاكر الله تعالى، قال حامد الأسود: كنت مع إبراهيم الخواص في سفر فجئنا إلى موضع فيه حيات كثيرة فوضع ركوته وجلس، وجلست فلما برد الليل، وبرد الهواء خرجت الحيات فصحت بالشيخ فقال: اذكر الله فذكرت، فرجعت الحيات، ثم عادت، فصحت به فقال مثل ذلك، فلم أزل إلى الصباح في مثل ذلك الحالة، فلما أصبحنا قام ومشى ومشيت معه فسقطت من وطائه حية عظيمة قد تطوقته. قلت: ما أحست بها؟ فقال: إلا منذ زمان ما رأيت ليلة أطيب من البارحة. وقيل: ذكر الله بالقلب سيف المريدين به يقاتلون أعداءهم، وبه يدفعون الآفات التي تقصدهم، وإن البلاء إذا أضل العبد فإذا

---

(١) [سورة الزمر: آية ٤٥].

فرغ بقلبه إلى الله تحول عنه فى المحال كل ما يكرهه. وقيل: إذا تمكن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان صرع كما يصرع الإنسان، فتجتمع عليه الشياطين، فيقولون: ما لهذا؟ فيقولون قد مسه الإنس. وقيل: إن الملك يستأمر الذاكر فى قبض روحه.

وفى الإنجيل: اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب وارض بنصرتى لك فإن نصرتى لك خير من نصرتك لنفسك. وقال ذو النون المصرى: من ذكر الله على الحقيقة تيسر فى جنب ذكره كل شئ، وحفظ الله عليه كل شئ، وكان له عوضا عن كل شئ.

الأصل الثالث

[الإخلاص]

اعلم أن كل شئ يتصور أن يشوبه شئ، فإذا صفا عن شوبه سمى خالصا، و يسمى الفعل المصفى إخلاصا، وكل من أتى بفعل اختيارى خالصا فلا بد له فى ذلك الفعل من عرض، فمتى كان فى الفعل واحد سمى ذلك الفعل إخلاصا إلا أن العادة جرت بتخصيص الإخلاص بتجريد قصد التقرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب، كما أن الإلحاد هو الميل وخصصه العرف بالميل عن الحق.

إذا علمت ذلك فنقول: الباعث على الفعل إماروحانى فقط وهو الإخلاص، أو شيطانى فقط وهو الرياء، أو مركب منهما. والمركب إما أن يتساوى فيه الطرفان، أو يكون الروحانى أقوى، أو النفسانى أقوى.

القسم الأول

أن يكون الباعث روحانيا فقط

ولا يتصور إلا من محب لله تعالى، ومستغرق الهم به بحيث لم يبق

لحب الدنيا فى قلبه مقر فحينئذ تكشف جميع أفعاله وحركاته هذه الصفة. فلا يقضى حاجته، ولا ينام، ولا يحب الأكل والشرب مثلا، إلا لكونه إزالة ضرورة أو تقوية على الطاعة، فمثل هذا لو أكل أو شرب أو قضى حاجته، فهذا خالص العمل فى جميع حركاته وسكناته.

القسم الثانى

أن يكون الباعث نفسانيا

ولا يتصور إلا من محب للنفس والدنيا، مستغرق فى الهم بهما بحيث لم يبق لحب الله تعالى فى نفسه مقر، فاكتسبت جميع أفعاله هذه الصفة، فلا يسلم له شئ من عباداته. وأما الاقسام الثلاثة الباقية فالذى يستوى فيه الباعثان، قال الإمام فخر الدين الرازى: الأظهر أنهما يتعارضان ويتساقطان، فيصير العمل لا له ولا عليه، والذى يكون أحد الطرفين فيه أغلب فيحبط منه ما يساوى الطرف الآخر: وتبقى الزيادة موجبة لأثرها اللائق، وهو المراد بقوله:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾(١).

وتمام التحقيق فيه أن الأعمال لها تأثيرات فى القلب، فإن خلا المؤثر عن المعارض خلا الأثر عن الضعف، وإن كان المؤثر مقرونا بالمعارض، فإن تساويا تساقطا، وإن كان أحدهما أغلب فلا بد أن يحصل فى الزائد بمقدار الناقص فيحصل التساوى بينهما أو يحصل التساقط ويبقى القدر الزائد خاليا عن المعارض فيؤثر لا محالة أثراما، وكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب والدواء عن أثر فى الجسد.

فكذلك لا يضيع مثقال ذرة من الخير أو الشر عن أثر فى التقرب من باب الله تعالى والتبعيد منه، وإذا جاء بما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا فقد عاد إلى ما كان

---

(١) [سورة الزلزلة: آية ٧-٨].

عليه لا له ولا عليه، وإن كان أحد الفعلين مما يقربه شبرين والفعل الثانى مما يبعده شبرا واحدا حصل لا محالة شبرا. واحتج من زعم أن المشوب لا ثواب عليه بوجهين: الأول: ما روى أبو هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال لمن أشرك فى عمله:

« **خذ أجرك ممن عملت له** ».

وعنه ﷺ أنه قال:

« **إن الله تعالى يقول: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه غيرى تركت فيه نصيبى لشريكى** ».

وأجيب بأن لفظ الشريك محمول على تساوى الداعين. وقد بينا أن عند التساوى ينحبط كل واحد منهما بالآخرى.

وأعلم أن خاطر الإنسان قد يكون فى صور العبادات وأنواع الخيرات، وحب الكرامات وهو لا يزال مع الإنسان حتى يخلص، فإذا أخلص فارقه، ولا يطمع وهو بالغ فى الشكر، والخير لا يأتى الإنسان من كل طريق إلا من باب الإخلاص فكن خالصا ولو كنت فى الإخلاص ما ترى نفسك فى مقام الإخلاص.

فصل

[فى آداب الذكر]

الذكر له آداب سابقة، وآداب لاحقة، وآداب مقارنة، ومنها ظاهرة، ومنها باطنه.

أما الآداب السابقة فنقول: على السالك بعد التوبة، وتهذيب النفس بالرياضات، وتلطيف الأسرار، وتهيئتها لمراسم الحضرات باعتزال الخلائق، وبتخفيف العلائق وقطع كل عائق، وتحصيل علم الأديان والأبدان المفروض على الأعيان، وتحرير المقاصد فإنها أرواح مقامات القاصد بأن تكون شرعية لا عادية،

وعليه اختيار ذكر لحاله مناسب، فيدأب على ذكره ويواظب، ومن الآداب الملبس الحلال الطاهر المطيب بالرائحة الطيبة، وطهارة الباطن بأكل الحلال فإن الذكر وإن كان يذهب الأجزاء الناشئة من الحرام إلا أنه إذا كان الباطن خاليا من الحرام أو الشبهة تكون فائدة الذكر فى تنوير القلب أكثر وأبلغ، وإذا كان فى الباطن حرام غسله منه ونظفه، فكانت فائدته حينئذ فى التنوير أضعف، ألا ترى أن الماء إذا غسلت به المتنجس أزال النجاسة ولم تكن فيه مبالغة فى التنظيف، ولذلك يستحب غسله ثانية وثالثة، وإذا كان المحل المغسول خاليا عن النجاسات ازداد بهجة ونضارة من أول غسلة. وإذا نزل الذكر القلب فإن كان فيه ظلمة نوره وإن كان فيه نور زاده وكثره.

وآدابه المقارنة: الإخلاص وتطيب المجلس بالرائحة الطيبة، لأجل الملائكة؛ والجن والجلوس متربعا مستقبل القبلة وإن كان وحده، وإن كان فى جماعة فحيث انتهى به المجلس، ووضع راحتيه على فخذيه، وغمض عينيه مع بقاء توجيه نصب عينيه.

قالوا: وإن كان تحت نظر شيخ تخيل شيخه بين عينيه، فإنه رفيقه فى الطريق وهاديه. وأن يستمد بقلبه أول شروعه فى الذكر من همة شيخه معتقدا أن أستمداده منه هو استمداده من النبى ﷺ، لأنه نائبه وإن يذكر بقوة تامة مع التعظيم وتصعد لا إله إلا الله من فوق السرة، ناويا بلا إله نفى ما سوى الله عن القلب، وناويا بإلا الله إيصالها إلى القلب اللحمى الصنوبرى الشكل، ليتمكن إلا الله فى القلب، ويسرى بجميع الأعضاء، وإحضار معنى الذكر بقلبه مع كل مرة. قال بعضهم: لا يصح أن يكون تردد الذكر مرة بعد مرة إلا بمعنى غير المعنى الأول. قال: وأدنى درجات الذكر أنه كلما قال: لا إله إلا الله لا يكون فى قلبه شئ غير الله ونفاه من قلبه، ومتى التفت إليه فى حال ذكره فقد أنزله منزلة الإله من نفسه قال تعالى:

﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾(١) وقال ﴿ لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾(٢) وقال ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾(٣).

وفى الحديث عن النبى ﷺ :

«تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم».

وإن كان الدينا والدرهم لا يعبدان بركوع ولا سجود، وإنما ذلك بالتفات القلب إليهما، فلا تصح منه لا إله إلا الله إلا بنفى ما فى نفسه وقلبه مما سوى الله تعالى. ومن امتلأ قلبه بصور المحسوسات او قال ألف مرة قلما يشعر قلبه بمعناها، وإذا فرغ القلب عن غير الله لو قال مرة واحدة «الله» يجد من اللذة ما لا يستطيع اللسان وصفه.

قال الشيخ عبد الرحيم القنائى: قلت مرة لا إله إلا الله ثم لم تعد إلى وكان فى تيه بنى إسرائيل عبد أسود كلما قال لا إله إلا الله ابيض من رأسه إلى قدمه؛ وتحقيق العبد بلا إله إلا الله حالة من أحوال القلب، لا يعبر عنها اللسان، ولا يقوم بها جنان، ولا إله إلا الله وإن كانت خلاصة الخلاصة من التوجيهات فهى مفتاح حقائق القلوب، وترقى السالكين إلى عوالم الغيوب. ومن الناس من اختار موالاة الذكر بحيث تكون الكلمتان كالكلمة الواحدة لا يقع بينهما تخلل خارجى، ولا ذهنى كى لا يأخذ الشيطان نصيبه، فإنه فى مثل هذا الموضوع بالمرصاد لعلمه بضعف السالك عن السلوك هذه الأدوية لبعدها من عادته، لا سيما إن كان قريب العهد بالسلوك، قالوا: وهذا أسرع فتحا للقلب وتقريبا من الرب.

وقال بعضهم: تطويل المدة من لا إله إلا الله مستحسن مندوب إليه، لأن الذاكر فى زمن المد يستحضر فى ذهنه جميع الأضداد والأنداد، ثم ينفيها،

---

(١) [سورة الفرقان: آية ٤٣].

(٢) [سورة الإسراء: آية ٢٢].

(٣) [سورة يس: آية ٦٠].

ويعقب ذلك بقوله: لا إله إلا الله فهو أقرب إلى الإخلاص لأنه يكون الإقرار بالإلهية وهو وإن نفى بلا إله عينه فقد أثبت بإلا كونه بل إلا نور يوضع على القلب فينوره. ومنهم من قال: ترك المد أولى ليسرع الانتقال إلى الإيمان وإن كان مؤمنا فالمد أولى، لأنه ربما مات فى زمان التلفظ بلا إله قبل أن يصلوا إلى إلا الله. ومنهم من قال: إن قصد الانتقال من الكفر إلى الإيمان فترك المد أولى لما تقدم.

وآدابه اللاحقة إذا سكت باختياره يحضر مع قلبه متلقيا لوارد الذكر وهى الغيبة الحاصلة عقب الذكر، وتسمى النومة أيضا، فكما أن الله تعالى أجرى العادة بإرسال الرياح تشراً بين يدى رحمته المطرية، أجرى العادة بإرسال رياح الذكر نشرا بين يدى رحمته العليه، فلعله يرد عليه ما يعمر قلبه فى لحظة ما لا تعمره المجاهدة والرياضة فى نحو ثلاثين سنة. وهذه الآداب تلزم الذاكر الواعى المختار.

أما المسلوب الاختيار فهو مع ما يرد عليه من الأذكار وما يرد عليه من جملة الأسرار، فقد تجرى على لسانه الله الله أو هو هو أو لا لا لا لا أو ١١١١١ أو اه اه اه أو صوت بغير حرف أو تخبط فأدبه التسليم للوارد وبعد انقضاء الوارد يكون ساكنا ساكتا. وهذه الآداب لمن يحتاج إلى ذكر اللسان أما الذاكر بالقلب فلا يحتاج إلى هذه الآداب.

باب

فوائد الذكر على الإجمال

من رام فوائده فليتبع النصوص الواردة. ففوائده ليست بالقليل وليس إلى حصرها من سبيل. وذكر الأئمة له فوائد جمة فلنذكر الحاضر على الخاطر فنقول:

الذكر يطرد الشيطان، ويمنعه ويكسره، ويرضى الرحمن، ويسخط الشيطان، ويزيل الهم عن القلب والغم، ويجلب الفرح والسرور، ويذهب الترح والشرور، ويقوى القلب والبدن، ويصلح السر والعلن، ويبهج القلب والوجه وينوره، ويجلب الرزق وييسره، ويكسو الذاكر مهابة، ويلهم به فى كل أمر صوابه

ودوامه للمحبة سبب من الأسباب وهو لها من أعظم الأبواب، ويورث المراقبة والموصلة لمقام الإحسان الذى فيه يعبد الله العبد كأنه بالعيان، ويورث الإنابة، فمن أكبر الرجوع بذكره أورثه الرجوع إليه فى سائر أمره، ويرث القرب من الرب، ويفتح باب المعرفة فى قلبه، ويورث العبد إجلالاً وهيبة لربه والغافل حجاب الهيبة رقيق على قلبه، ويورث ذكر الله للعبد، وهو أعز شرفا وأعلى مجدا وبه يحيا قلب البشر كما يحيا الزرع بوابل المطر وهو قوت الأرواح كما أن الغذاء قوت الأشباح، وجلاء القلب من صداه الذى هو الغفلة، واتباع هواه، وهو للفكر كالسراج الهادى فى الظلمة إلى المنهاج، ويحبط الذنبوب والخطيئات:

﴿ **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** ﴾(١).

ويزيل الاستيحاش الحاصل بين الرب وبين العبد الغافل، وما يذكره العبد من نحو تسبيح، وتكبير وتهليل وتمجيد، يذكرن بصاحبهن حول العرش المجيد.

والعبادات كلها فى يوم الحشر تزول عن العبد إلا ذكر الله والتوحيد والحمد، ومن تعرف إلى الله فى الرخاء بذكره تقرب إليه فى الشدة ببره.

وفى الأثر: «**إن العبد المطيع الذاكر لله تعالى إذا أصابته شدة أو سأل الله حاجة قالت الملائكة: يا رب صوت معروف من عبد معروف. والغافل المعرض عن الله إذا دعاه أو سأله قالت الملائكة: يا رب صوت منكر من عبد منكر**».

ولا عمل من الأعمال أنجى منه من عذاب الله ذى الجلال، وهو للعبد سبب لنزول السكينة عليه، وحفوف الملائكة به، ونزولها لديه وغشيان الرحمة، وما أجل ذلك من نعمة وهو للسان شاغل عن الغيبة والكذب وكل باطل.

والذاكر لا يشقى به جليسه ويسعد به أنيسه ومجلسه لا يكون عليه حسرة يوم القيامة، ولا يكون عليه ترة، ولا ندامة، والذكر مع البكاء والعويل يسبب نيل ظل العرش الظليل يوم الجزاء الأكبر، والوقوف الطويل، ومن كان ذكر الله له عن

---

(١) [سورة هود: آية ١١٤].

المسئلة شاغل أعطى أفضل ما أعطى سائل، ويتيسر على العبد فى عموم الأوقات وأكثر الحالات. وحركة الذكر على اللسان أيسر حركة على الإنسان، وهو غراس الجنان، والجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غرسها: سبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر كما جاء فى الأحاديث الحسان، وهو سبب للعتق من النيران والأمان من النسيان فى الدنيا، ودار الهوان وشاهده:

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾(١).

كما جاء فى القرآن نسيان الله للعباد ينسيهم أنفسهم، وذلك غاية الفساد، وهو نور للعبد فى دنياه وقبره ونشره وحشره، وهو رأس الأصول، وباب الوصول، ومنشور الولاية الذى به على النفس والهوى يصول، وإذا رسخ فى القلب ووقع، وصار اللسان له كالتبع استغنى الذاكر وارتقى وارتفع. والغافل وإن كان ذا مال فهو فقير أو ذا سلطان، فهو حقير ويجمع على الذاكر قلبه المفترق وشمل إرادته وعزمه المتمزق ويفرق حزنه وذنبه وجند الشيطان وحزبه ويقرب من قلبه الآخرة ويبعد عن قلبه الدنيا وإن كانت حاضرة وينبه القلب الغافل بترك اللهو والباطل وترك ما فات، ويستعد لما هو آت، وهو شجرة ثمرتها المعارف ورأس مال كل عارف، والله مع الذاكرين بالقرب والولاية والمحبة والتوفيق والحماية، ويعدل عتق الرقاب والجهاد. ومشقاته الصعاب والقتل فى سبيل الله والعطب وإنفاق الورق والذهب وهو من الشكر رأسه وأصله وأساسه، ومن لم يزل لسانه رطبا بذكره واتقى الله فى نهيه وأمره أوجب له دخول جنة الأحباب والاقتراب من رب الإرباب:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(٢).

---

(١) [سورة البقرة: آية ١٥٢].

(٢) [سورة الحجرات: آية ١٣]

ويدخل الجنة وهو يضحك ويبتسم ويتقلب فيها ويتنعم ويذهب من القلب القساوة ويورثه اللين والطراوة.

والغفلة للقلب: داء ومرض. والذكر: شفاء له من كل داء وعرض كما قيل:

إذا مرضنا تداوينا بذكركمو ونترك الذكر أحيانا فننتكس

وهو أصل موالاة الله وأسها والغفلة أصل معاداته ورأسها: وإذا استولت الغفلة على العبد ردته إلى معادات الله أقبح رد. وهو رافع للنقم ودافع وجالب للنعم وكل نافع وموجب لصلاة الله عليه والملائكة الكرام، فيخرج من الظلمات إلى النور ويدخل دار السلام، ومجالس الذكر رياض الجنات، والرتع فيها يرضى الرحمن والله تعالى يباهي بالذاكرين ملائكة السماء، فمنزلته من العبادات أرفع وأسمى، وأفضل العمال أكثرهم ذكرا في.سائر الأحوال وهو ينوب عن سائر الأعمال سواء كانت متعلقة بمال أو بغير مال، ويقوى الجوارح، ويسهل العمل الصالح، وييسر الأمور الصعاب، ويفتح مغلق الأبواب، ويخفف المشقة، ويقصر الشقة وهو أمن للخائف ونجاة من المتالف.

والذاكرين من العمال في ميدان السبق إلى حيازة قصب السبق سباق، وسوف ترى إذا انجلى الغبار أفرسًا ركبت أم حمارا؟ وهو سبب لتصديق الرب لعبده لأنه مخبر عن جلاله وجماله وحمده ودور الجنة بالذكر تبنى، فالغافل لا يبنى له في الجنة مغنى، والأذكار سد بين العبد وبين النار. فإن كان الذكر مستمرا دائما كان السد جيدا محكما، وإلا كان واهيا منخرما، الذكر نار لا تبقى ولا تذر، فإذا دخل بيتا لا يترك فيه عينا ولا أثرا، ويذهب الأجزاء الثابته من الطعام الزائدة على الشبع أو الحرام، ويذهب الظلمات، وينبت الأنوار الساطعات، والملائكة تستغفر للعبد إذا لازم الذكر والحمد، والبقاع والجبال تباهى بمن يذكر الله عليها من الرجال، وهو سمة المؤمن الشاكر والمنافق قليلا ما يوجد ذاكرا ألهاه ماله وولده عن الذكر فهو خاسر.

وللذكر لذات أحلى من لذات المطعومات والمشروبات ووجه الذاكر وقلبه يكسى فى الدنيا نضرة وسرورا وفى الآخرة وجهه أشد بياضا من القمر ونورا، وتشهد له البقاع كما تشهد لكل عامل عصى أو أطاع، وهو يرفع العامل إلى أعلا الدرجات، ويوصله إلى أعلى المقامات. والذاكر حى وإن مات. والغافل وإن كان حيا فهو من جملة الأموات، ويورث الرى من العطش عند الموت، والأمن من المخاوف عند خوف الفوت. والذاكر فى الغافلين كبيت مظلم فيه مصباح. والغافلون كليل مظلم ليس له مصباح. والذاكر إن شغله عن الذكر شاغل، فقد تعرض للعقوبة، وإن كان عن ذلك غافل، فمن جلس مع الملك بغير أدب أسلمه ذلك إلى العطب. والحضور فى الذكر ساعة حمية عن تخليك المعاصى بالطاعة والحمية وإن كانت قليلة فلها منفعة جليلة.

باب

فى فوائد أذكار

مما يستعلمه المريد السيار

اعلم أن أسماء الله الحسنى أدوية لأمراض القلوب، وعلل السالكين إلى حضرة علام الغيوب، ولا يستعمل دواء إلا فى الأمراض التى يكون ذلك الاسم نافعًا فيها، فحيث يكون مثلا الاسم المعطى نافعا لمرض قلب مخصوص، فالاسم النافع ليس بمطلوب فيه. وقس على هذا.

والقاعدة أن من ذكر ذكراً وكان لذلك الذكر معنى معقول تعلق أثر ذلك المعنى بقلبه، وتبعد لو احقه حتى يتصف الذاكر بتلك المعانى، إلا إذا كانت إسما من أسماء الانتقام لم يكن كذلك، بل يعلق بقلب الذاكر الخوف، فإن حصل له تجل كان من عالم الجلال.

[الذكر بأسماء الله]

فاسمه تعالى الصادق ذكره يعطى المحجوب صدق اللسان والصوفى صدق القلب والعارف التحقيق.

أسمه تعالى: الهادى نافع فى الخلوة ينفع من وجود التفرقة والسلوة ويرفعهما ومن استغاث بالله ولم ير ظاهر صورة الغوث فليعلم أن أستمراره فى الاستغاثة هو المطلوب منه.

أسمه تعالى: الباعث يذكره أهل الغفلة، ولا يذكره أهل طلب الفناء.

أسمه تعالى: العفو يليق بأذكار العوام، لأنه يصلحهم وليس من شأن السالكين إلى الله ذكره، لأنه فيه ذكر الذنب، وذكر القوم لا يكون فيه ذكر الذنب بل ولا ذكر الحسنة، فإذا ذكرته العامة حسن حالهم.

اسمه تعالى: المولى، هو الناصر والسيد، ولا يذكره إلا العباد لاختصاصهم به فإن ذكره من فوقهم فهو بمعنى آخر.

اسمه تعالى: المحسن يصلح للعوام إذا أريد بهم تحصيل مقام التوكيل، وذكره يوجب الأنس، ويسرع بالفتح، ويداوى به المريد من رعب عالم الجلال.

اسمه تعالى: العلام ذكره ينبه من الغفلة ويحضر القلب مع الرب ويعلم الأدب مع المراقبة فيناله الأنس عند أهل الجمال، ويتجدد له الخوف والهيبة عند أهل عالم الجلال.

أسمه تعالى: الغافر يلقن لعوام التلاميذ، وهم الخائفون من عقوبة الذنب، وأما من يصلح للحضرة فذكر مغفرة الذنب عندهم يورث الوحشة وكذلك ذكر الحسنة يوجب رعونة تجدد للنفس شبه المنة على الله تعالى بخدمته فى الطاعة وضرر ذكر السيئة.

اسمه تعالى: المتين، وهو الصلب وهذا الإسم يضر أرباب الخلوة، وينفع أهل الإستهزاء بالدين ويردهم بطول ذكرهم له إلى الخشوع والخضوع.

اسمه تعالى: الغنى ذكره نافع لمن طالب التجريد فلم يقدر عليه.

اسمه تعالى: الحسيب ذكره إن كان مشغوفًا بالأسباب خرج عنها إلى التجريد اكتفاء بالحسيب أى الكافى.

اسمه تعالى: المقيت، ذكره يفيد التجريد عن الأسباب ويعطى التوكل.

اسمه تعالى: ذو الجلال يصلح فى الخلوة لأهل الغفلة.

اسمه تعالى: الخالق، من أذكار أهل مقام العبادة بمقتضى العلم النافع المطابق للعمل الصالح، ولا يصلح أن يلقن لأهل الاستعداد الوحدانى فإنه يبعدهم من العرفان، ويقربهم إلى العقد العلمى.

اسمه تعالى: المصور، من أذكار العباد.

اسمه تعالى: العالم، من أذكار العباد ويصلح للمبتدئين من أهل السلوك، ففيه تنبيه للمراقبة، ويحصل به بالخوف والرجاء.

اسمه تعالى: المحصى، من أذكار العباد.

اسمه تعالى: الرقيب، إذا ذكره أهل الغفلة استيقظوا من سنتها، وإن ذكره أهل اليقظة داموا فيها، وإن ذكره أهل العبادة خلصوا من الرياء، وكذلك أهل التصرف والعارفون لا يحتاجون إلى ذكر، وليس فيه نسبة للواقفين لأنهم قطعوا الأسماء. وكان بعض المشايخ يلقن تلامذته ما صورته: الله معى الله ناظر إلى الله يرانى، ويأمرهم بتكرار ذلك بألسنتهم وقلوبهم دائما ومراده في ذلك أن يداوى مرض قلوبهم من داء الغفلة فينبههم بالذكر على معنى الاسم الرقيب فيحصل لهم الحضور مع الله تعالى بالأدب وهو حال أهل العبادة القلبية، وأكملهم في ذلك رجال الأنفاس، وهم الذين لا يحدثون نفسا إلا وقلوبهم حاضرة مع الله، ولا يطلقون نفسا إلا وهم حاضرون مع الله تعالى، وهو مقام صعب على أهل الحجاب جدا مشق عليهم إذا لا يبقى مع مراعاته حظ من حظوظ العادات البشرية إلا وتعطل.

فصل

اسمه تعالى: الوفى ذكر المتوسطين وذكره في الخلوة يعطي نهاية ما في الاستعداد من القبول.

اسمه تعالى: الشاكر، أي يشكر للعبد الصالح عمله أي يثني به عليه وهو يعطي أهل الذكر مقام المحبة إن كانوا صوفيه ولمقام الوقفة إن كانوا عارفين ومقام القطبية إن كانوا واقفين، وهو حضرة قدس محفوفة بأنس، وهو في الخلوة بالغ.

اسمه تعالى: المجيد، لا يستعمله في الخلوة أهل البداية، وأهل التوسط يجبه أن يذكروه في وقت تجلى الحق لهم بالتدلي إلى حضرات التقييد فإن ذكر المجيد يرفع الأشكال.

اسمه تعالى: الودود، وهو ودود بكل خلقه إذا ذكره أرباب الخلوة حصل لهم الأنس والمحبة.

اسمه تعالى: المنان، ذكره في الخلوة نافع جدا لمن فارق حظوظ النفس، ومضر لمن حاجات نفسه باقية.

اسمه تعالى: الحنان، ذكر في الخلوة يقوي الأنس إلى أن يبلغ بصاحبه إلى المحبة.

اسمه تعالى: البر، يعطي الأنس فيسرع بالفتح الجزئي لا التوحيد.

اسمه تعالى: الظاهر، ذكره ينفع في السفر الثاني جدا.

اسمه تعالى: الفالق، ذكره في الخلوة ينفع المتخلي نفعا بالغا ويسرع بالفتح عليه إذا كان معه الاسم القيوم أو الحي، ويبطئ إذا ذكر معه لا إله إلا الله.

اسمه تعالى: اللطيف، هو الذي بمعاني الرحمة مطيف ذكره في الخلوة ينفع كثيف الطبع، فيتلطف وأهل المشاهدة يقوى به لشهود من ضعف شهوده منهم.

اسمه تعالى: النور، يسرع إلى أهل الخلوات الفتح لكونه يأتي بالتدريج، ولا يعطي الفتح الكلي إلا نادرا.

اسمه تعالى: الوارث يصلح للعارفين، يكون جاذبا لهم إلى الفناء المطلق وهو مقام الوقفة.

اسمه تعالى: المعطي، أقرب الأسماء المذكورة في الخلوة إلى الفتح لكنه فتح ضعيف.

اسمه تعالى: الفائق، يذكره العارفون ولا يذكره أهل البداية.

اسمه تعالى: الشكور، ذكره يختص بالخاصة من أهل الوصول.

اسمه تعالى: ذو الطول من فضل الله علينا الإسلام ثم الإيمان، ثم الإحسان ثم السكينة، ثم الاستقامة، ثم التصرف، ثم العرفان، ثم الوقفة، ثم التحقيق بالمراتب، ثم الخلافة وهذا الذكر فيه إسراع بالفتح.

وكذلك اسمه الفتاح، يسرع بالفتح واسمه الأول يسرع بالفتح.

اسمه تعالى: الجبار، يلقن في الخلوة لمن غلب عليه الحال وخيف عليه من البسط الذي يجره أهل الطرق من تجلى الاسم الباسط فإذا ذكره من خالطه البسط عرض له القبض فيعتدل في سلوكه.

اسمه تعالى: المتكبر، ويذكره في الخلوة وغيرها لإعادة الهيبة إلى من غلب عليه البسط.

اسمه تعالى: القادر وثمرة ذكره نفع أهل استبعادة خرق العوائد فإذا ذكره في خلوته أنعم باطنه بصحة ذلك بوجبة ما.

اسمه تعالى: القاضي أي الذي يرجع إلى حكمه بالطاعة من ذكر هذا الاسم، وكان يتردد في الأمور جهلا قضى الله له في باطنه الشهود الحق.

اسمه تعالى: القوي، ينفع ذكره من مرض في الخلوة أو نسي وضعف عن الذكر، أو تفزع فإنه يجمع وخاصته ترجع إلى سلوك الملوك والجبابرة بأنهم إذا ذكروه جمعهم على الحق.

اسمه تعالى : الحفيظ، خاصته حفظ الحال فيذكره من يخاف المكر.

اسمه تعالى : المكرم، يأمر به الشيخ المريدإذا حقر نفسه وعدم بالاستغفار أنسه.

اسمه تعالى : المدبر، لا يصلح للسالك ذكره إلا إذا خاف الشيخ عليه من غلبة التوحيد.

اسمه تعالى : الكبير، يأمر الشيخ التلميذ أن يذكره إذا غلبه تجلي القرب وخاف عليه الوله منه.

اسمه تعالى : المتعال، مثل الكبير ينفع من غلبة القرب وكان يتوله فإذا ذكره عاد إلى الحس.

فصل

اسمه تعالى : المقتدر ومعناه القادر يذكره من يريد الشيخ منه إظهار الكرامات دون التوحيد.

اسمه تعالى : الفعال ينفع ذكره من يريد التأثيرات والكرامات.

اسمه تعالى : الراتق، يأمر الشيخ بذكره من يخاف منه نكوص الاستعداد فيحجب عنه التجلي.

اسمه تعالى : المعيد، يلقنه الشيخ لمن أراد أن يحجبه إذا أخاف عليه من الكشف أن يتوله.

اسمه تعالى : المقتدر، يلقنه الشيخ لمن هو من أهل الإعراض عن حكمة الحكيم فيجمعهم إليه.

اسمه تعالى: الباطن، يذكره من غلب عليه التجلي الظاهر وخيف عليه الوله يلقنه الشيخ لمن غلب عليه القرب حتى كاد أن يتوله.

اسمه تعالى: القدوس يأمر الشيخ بذكره من اعترضته في الخلوة شبه أهل التجسيم والتشبيه ولمن كانت عقيدته تناسب ذلك فينتفع بذكر هذا الأسم انتفاعا كثيرا ولا يأمر الشيخ بذكره غير هؤلاء ولا سيما من كانت عقيدته أشعرية فإنه يبعد عليهم الفتح ويعوضهم الشيخ عن هذا الاسم القريب والرقيب والودود وشبه هذا الأسماء.

اسمه تعالى: الممتحن، يستعمل معناه المشايخ أهل التربية تلاميذهم بما يختبرون به استعداداتهم ليعرفوا أي طريق يسلكون بهم فيه إلى الله تعالى ولا يلقنونه في الخلوة إلا لمن حصلت له بلوى فهو يذكره ربه

باب

في أختيار الذكر

منهم من اختار لا إله إلا الله محمد رسول الله فى الابتداء والانتهاء، ومنهم من اختار لا إله إلا الله في الأبتداء وفي الانتهاء الاقتصار على ألله، وهم الأكثرون، ومنهم من اختار ألله ألله، ومنهم من اختار «هو» احتج من قال بالأول بأن الإيمان لا يصح، ولا يقبل، حتى تكون الشهادة بالرسالة متصلة بالشهادة بالوحدانية.

قالوا: فإن قلت: إنما ذلك عند الدخول في الإيمان فإن استقر إيمانه وثبت فيفرق بين الذكرين.

فالجواب: أنه إذا لم يجز له التفريق في البداية فأولى أن لا يجوز في النهاية ألا ترى الأذان الذي هو شعار الإسلام لا يصح إلا باتصال الذكرين جميعا علي الدوام، فكما أن الأذان لا ينتقل عن حالته التي شرع عليها من الاتصال بين الذكرين، فكذلك لا ينتقل المؤمن عن الحالة التى لا يقبل فيها إيمانه إلا بعد إتيانه بالأصلين، فلا سبيل للتفريق بيسن الذكرين قال الله تعالى:

﴿ يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً ﴾ إلى قوله تعالى: **﴿ ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ﴾**.

قال بعض المفسرين: أمر الله أن يوصل ذكر نبيه بذكره، فمن قطع بين ذلك، فقد قطع ما أمر الله به أن يوصل، ومن قطع ما أمرالله به أن يوصل فقد أطلق عليه اسم الخسران قال الله تعالى:

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[1].

---

(١) [سورة الشرح: آية ٤].

قال بعض المفسرين: معناه لا أذكر إلا وذكرت معى قالوا: فإن ادعى صاحب دعوى وقال بأنه في مقام الفناء وقال: لا أرى إلا الله ولا أشاهد سواه فلا أذكر معه غيره: أجابوا بأن أبا بكر الصديق حين جاء بجميع ماله إلى النبى ﷺ قال له:

«ما تركت لأهلك؟ فقال: تركت لهم الله ورسوله».

ولم يقتصر على قوله الله بل وصل بين الذكرين، وكذلك الرمل في الطواف شرع لسبب، وزال السبب واستمر الرمل.

وأما الذكر الثانى: وهو لا إله إلا الله فدليله قوله تعالى:

(فاعلم أنه لا إله إلا الله) وقوله ﷺ: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله».

وفيها نفى الإلهية عما ما سوى الله وإثبات الإلهية لله تعالى: وما من عبادة إلا وفيها معنى لا إله إلا الله فالطهارة فيها نفى النجاسة، وإثبات الطهارة، والزكاة فيها نفي حب المال، وإثبات حب الله وإظهار الاستغناء عن الدنيا والافتقار إلى الله تعالى والاستغناء به، وأيضًا القلب مشحون بغير الله فلا بد من كلمة النفى لنفى الأغيار، فإذا صار خاليا يوضع فيه منبر التوحيد، ويجلس عليه سلطان المعرفة، وما وضع في العموم إلا أفضل الأشياء، وأعمها منفعة، وأثقلها وزنا لأنه يماثل بها أضدادا كثيرة فلا بد أن يكون في ذلك الموضوع من القوة ما يقابل به كل ضد ولذلك قال ﷺ:

«أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله».

فظهر مرجوحية قول من ادعى الخصوص من الذكر: الله الله وهو من جملة الأقوال الذى لا إله إلا الله أفضل منها عند العلماء بالله.

فعليك بأولى بالذكر الثابت في العموم فإنه الذكر الأقوى وله النور الأضوى والمكانة الزلفى، ولا يستقر بذلك إلا من لزمه وعمل به حتى أحكمه فإن الله ما وضع رحمته إلا للشمول وبلوغ المأمول، فمن نفى بلا إله عينه أثبت بإلا الله كونه.

الذكر الثالث: ذكر التنزيه وهو سبحان الله وبحمده، وذلك إذا أظهر على السالك ثمرة ذكر النفى والإثبات كما سيأتى في موضعه إن شاء الله تعالى.

الذكر الرابع: الله، ويسمى الذكر المفرد لأن ذاكره مشاهد لجلال الله وعظمته، فانيا عن نفسه قال الله تعالى:

﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾(١).

وذكر أن الشبلى سأله رجل لم تقول: الله ولا تقول: لا إله إلا الله؟ فقال: لأن الصديق أعطى ماله كله فلم يبق شئ فتخلل بكساء بين يدى النبى ﷺ فقال رسول الله ﷺ.

«ما خَلَيت لعيالك؟ فقال: الله».

فلذا أنا أقول الله فقال السائل أريد أعلا من هذا فقال الشبلى: أستحيى من ذكر كلمة النفى في حضرته، والكل نوره فقال أريد أعلا من هذا فقال الشبلى: أخشى أن أموت على الإنكار فلا أصل إلى الإقرار فقال السائل: أريد أعلا من هذا فقال الشبلى قال الله لنبيه:

﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾.

فقام الشاب وزعق زعقة فقال الشبلى: إلله فزعق ثانيا فقال الشبلى: الله فزعق ثالثا ومات، واجتمع أقارب الفتى، وتعقلوا بالشبلى، وادعوا عليه الدم وحملوه إلى الخليفة فأذن لهم فدخلوا عليه وادعوا الدم فقال الخليفة للشبلى ما

---

(١) [سورة الأنعام: آية ٩١].

جوابك؟ فقال: روح حنت فرنت، وسمت فصاحت، فدعيت فسمعت، فعلمت فأجابت فما ذنبي؟ فصاح الخليفة: خلوا سبيله.

ووجه القول بهذا الذكر المفرد أنه المقصود فهو بالذكر أولى ولأن ذاكر لا إله إلا الله قد يموت بين النفي والإثبات، ولأنه أسهل على اللسان، وأقرب لإحاطة القلب به، ولأن نفي العيب عمن يستحيل عليه العيب عيب، ولأن الاشتغال بهذه الكلمة مشعر بتعظيم الحق بنفي الأغيار إلا أن أنفي الأغيار يرجع في الحقيقة إلى شغل القلب بالأغيار، وذلك ممتنع على المستغرق في نور التوحيد: فمن قال: لا إله الا الله فهو مشتغل بغير الحق، ومن قال: الله فهو مشتغل بالحق فأين أحد المقامين من الآخر؟ وأيضاً نفي الشئ إنما يحتاج إليه عند خطور ذلك الشئ بالبال وخطور ذلك الشئ لا يكون إلا عند نقصان الحالة. فأما الكاملون الذين لا يخطر ببالهم وجود الشريك امتنع أن يكلفوا نفي الشريك بل هؤلاء لا يخطر ببالهم، ولا يخطر في خيالهم إلا ذكر الله فيكفيهم أن يقولوا الله وأيضاً قال الله:

﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾.

فأمره بذكر الله ومنعه من الخوض معهم في أباطيلهم ولعبهم والقول بالشريك من الأباطيل وفيه خوض في ذلك المقام فكان الأولى الاقتصار على قولك: «الله» وجواب من قال بالنفي والإثبات عن هذا من حيث المعنى أن النفي للتطهير والإثبات للتنوير، وإن شئت قلت: النفي للتخلية والإثبات للتحلية واللوح إذا لم تمسح نقوشه لا يكتب فيه شئ والقلب الواحد لا يصلح أن يكون محلا لشيئين فضلا عن أشياء، ومن امتلأ قلبه بصور المحسوسات لو قال الله ألف مرة قل ما يشعر قلبه بمعناها، وإذا فرغ القلب عن غير الله لو قال مرة واحدة الله يجد من اللذة مالا يستطيع اللسان وصفه.

الذكر الخامس: هو أعلم أن هو: اسم موضوع للاشارة وعند أهل الظاهر لا

يتم الكلام إلا الخبر نحو: قائم وقاعد فيقول: هو قائم هو قاعد وعند هذه الطائفة هو إخبار عن نهاية التحقيق ويكتفون به عن كل بيان يتلوه، لأستهلاكهم في حقائق القرب، واستيلاء ذكر الحق على أسرارهم فماسواه لا شئ حتى تقع الإشارة إليه. قيل لبعض الوالهين ما اسمك؟ قال: هو، قيل: من أين أنت؟ قال: هو، قيل: ومن أين جئت؟ قال: هو قيل: ما تعنى بقولك هو؟ قال: هو، وما سئل عن شئ إلا قال: هو، قيل: لعلك تريد الله فصاح صيحة عظيمة، ثم مات. فإن قلت: قد ذكرت لكل ذكر أدلة بحيث يظن الناظر في كل ذكر أنه الأفضل، وذلك يورث التحير عند التخير.

قلت: كل ذكر له حالة ووقت هو فيه أفضل من غيره فيه، فلكل مقام مقال هو به أليق، ولكل ذكر حال هو به أخلق كما سيأتى، وكما أن القرآن أفضل من الذكر فالذكر في بعض الأحوال أفضل منه للذاكر كما في الركوع.

باب

تدريج السالك بالأذكار

وكيفية تنقله في الأطوار على سبيل التنبيه والاختصار

فمن لازم الأذكار توالت عليه الأنوار، وانكشفت له عن المغيبات الأستار. وينبغي لمن عزم على الاسترشاد، وسلوك طريق الرشاد، أن يبحث عن شيخ من أهل التحقيق سالك للطريق تارك لهواه راسخ القدم في خدمة مولاه وما أحسن قول من قال:

جل جناب الحق أن يراه مسافر يصحبه هواه

فإذا وجده فليمتثل ما أمر ولينته عما نهى عنه وزجر، وإلا فعليه بإحصاء الأسماء والتحلي بأمهات الفضائل والتخلي عن الرذائل من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء، ودوام التوقي، وطلب المزيد والدؤوب في العبادات، وإخلاص الرغبة إلى الله في كل مطلب وفي السلوك طرق شتى لا ترى في كل منها عوجا ولا أمتا، وأبدأ الآن بذكر هذه الطريق إلى منتهاها طريق الإمام أبي بكر الصديق، وقد تلقيتها عن بعض أهل التحقيق.

وهي أن السالك يبدأ بالصلاة على النبي ﷺ دون غيرهما من الأذكار فإنه ﷺ الواسطة بيننا وبينه، والدليل لنا عليه، والمعرف لنا به والتعلق بالواسطة متقدم على التعلق بالمتوسط إليه. وأيضًا محل الإخلاص القلب وقد يكون مصروفا لغير الله تعالى، والنفس متوجهه للخلق، أمارة بالسوء، متبعة للشهوات مائلة للأباطيل. وذلك كله أدناس تحجب القلب عن الإخلاص وعن الوجهة الصحيحة إلى الله تعالى. وهي قابلة لأوامر الشيطان ولو لم تكن قابلة منه لما وجد مسلكا للقلب وقبولها منه دليل على غلتها وغيبتها عن الله تعالى. والغيبة حجاب كثيف عن

خالقها، والحجاب ظلمة فاحتاج السالك لدفع تلك الظلمة وزوال تلك الأدناس والظلمة تزول بالنور.

روى أنه ﷺ قال:

«الصلاة على نور».

وزوال الأدناس بالمطهر.

روى في حديث عنه ﷺ أنه قال:

«طهارة قلوب المؤمنين وغسلها من الصدإ الصلاة علىَّ».

فلذلك يؤمر السالك بالابتداء بالصلاة على النبى ﷺ لتطهير محل الإخلاص إذ لا إخلاص مع بقاء العلل، وزوال النعم بذكر حبيب الله ﷺ، والإكثار من الصلاة عليه يثمر تمكن محبته من القلب، وتمكن محبته يثمر شدة الاعتناء به، وبما كان عليه من الصفات والأخلاق وما هو مختص به، فلما علمنا أنه لا يتوصل لاكتساب اتباع أفعاله وأخلاقه إلا بعد شدة الاعتناء به إلا بالمبالغة في حبه، ولا يتوصل للمبالغة في حبه، إلا بكثرة الصلاة عليه، ومن أحب شيئًا أكثر من ذكره. فلذلك يبدأ السالك بالصلاة على النبى ﷺ وهى جامعة لذكر الله وذكر رسوله.

روى أنه ﷺ:

«قال الله تعالى له يا محمد جعلتك ذكرا من ذكرى من ذكرك فقد ذكرنى، ومن أحبك فقد أحبنى، فقال النبى ﷺ من ذكرنى فقد ذكر الله، ومن أحبنى فقد أحب الله»

والمصلى ناطق بذكر الله في قوله: اللهم.

واعلم أن الذكر على قسمين: ذكر لا يتضمن المناجاة، وذكر يتضمنها، وهو

أبلغ وأشد تأثيرا في قلب المبتدئ من الذكر الذى لا يتضمن المناجاة، لأن المناجى يشعر قلبه قرب من يناجيه، وذلك مما يؤثر في قلبه، ويلبسه الخشية فإن قوله: اللهم صل، ذكر ومناجاة لأنه يسأل الصلاة وذلك مناجاة ولا تكون إلا لحاضر أنت بين يديه ولعل سر مشروعية الصلاة على الأنبياء أن روح الإنسان ضعيفة لا تستقر لقبول الأنوار الإلهية. فإذا استحكمت العلاقة بين روحه وروح الأنبياء بالصلاة فالأنوار الفائضة من عالم الغيب على أرواح الأنبياء تنعكس على أرواح المصلين عليهم.

فصل

[الاستغفار]

المريد للسلوك إذا سبق منه كثرة آثام وأوزار فليبدأ في سلوكه بكثرة الاستغفار إلى أن يظهر عليه ثمرته، فلكل ذكر ثمرة وعلامة عند أئمة هذا الشأن معتبرة.

والثمرة المخصوصة بالأذكار قسمان: قسم يلوح للقلب في حال اليقظة. وقسم يراه السالك في المنام.

والسالكون في الإتيان بالثمرات على درجات ثلاث، أعنى الثمرات التى توجب لهم الترقى من ذكر آخر فسالك يرقى بعد ثمرة في اليقظة تلوح وآخر بما في النوم يظهر للروح، وآخر يجمع بين اليقظة والمنام، وذلك أكمل الأقسام والثمرات بالامتحاص تختلف. لكنها ترجع إلى أصل واحد فبتألف قرب شخص يلوح له مالا يلوح لغيره، ويلوح لغيره مالا يلوح له، ولك منهما قد أتى بالثمرة لازما ومالاح لهما يرجع إلى أصل واحد.

والثمرات تختلف على قدر أرزاق السالكين وهى تدور على أصول ثابتة لا تختلف عند المحققين، فلا يرقى سالك من ذكر إلى ذكر آخر حتى يظهر عليه ثمرته

المختصة به، فإذا ظهرت عليه شواهد الخشوع، ولاح عليه أثر الانكسار والخضوع، فعند ذلك يؤمر بذكر مصقلة القلوب، وهى الصلاة على النبى المحبوب هذا إذا كان استعمل في المعاصى جوارحه وكانت نفسه قبل ذلك إلى المآثم جانحة. وأما إن كان قد شد على العفاف إزاره، ولم تستهوه النفس الأمارة، فأول ما يلقى إليه التصلية على الرسول، فيها تبلغ المأمول، ثم ينظر هل هذا السالك من عوام الناس، أو من أهل العلم؟ فإن كان من عوام الناس فبالصلاة التامة، ويبدأ ويدأب حتى يقف على حقيقتها، ويظهر له ما تحت طيها، ثم يرقى إلى كيفية غيرها. وإن كان السالك من أهل العلم، فلا يؤمر بأن يبدأ بالصلاة التامة لأن لسانه رطب بها لدورانها على لسانه وكثرة استعمالها، غير أنه لم يقف على ما تحت طيها، لأنه لم يتمكن نور الصلاة على النبى ﷺ فيصلى من الصلاة التامة في دبر كل فريضة إحدى عشرة مرة يجعلها وردا، حتى تستشرق بصيرته على معناها، ويدأب ليله ونهاره بالصلاة التى ذكرناها.

وإياك أن تترك لفظ السيادة ففيها سر يظهر لمن لازم هذه العبادة فإذا لاح ذلك السر وظهر، انتقل إلى ذكر أعلا منه يذكر فيقول: اللهم صلى على حبيبك، فيضيفه إلى الخالق، وفيه اختصاصه بأعلى درجات المحبة، دون الخلائق. ولابد للسالك من قصد ونية ليرتقى إلى الدرجات السنية.

ولنذكر الآن هيئة الجلوس للذكر فنقول: من الأدب أن يجلس بين يدى سيده جلوس ذليل خاضع، ويقعد قعود مفتقر متواضع، وأن يجعل رأسه بين ركبتيه، وأن يسد عن المحسوسات عينيه، فبهذه الجلسة يجتمع القلب، ويتصفى من الأكدار، وتأتيه الأنوار واللوائح والأسرار. فإذا جلست هذه الجلسة تعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم سم الله، ثم قل في أثر ذلك: لله أصلى على سيدنا محمد كذا كذا مرة، ويسمى العدد الذى يقصده إيمانًا واحتسابًا لله تعالى وتعظيمًا لحق رسول الله ﷺ، وتشريفًا وتكريمًا وصلى الله

على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليمًا ثم اشرع في الصلاة على النبى ﷺ، فإذا كملت العدد أو كانت بيدك سبحة فوصلت إلى الموضع الذى بدأت منه، فجرد القصد كما ذكرنا لعله بالتكرار يظهر ما تحت ألفاظه من الأسرار، فما من لفظة إلا وتحت طيها سر مستور، وليقرأ قبل طلوع الفجر أو بعده:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(١).

وليقل عقبها: وأنا أشهد الله بما يشهد به لنفسه، وشهدت له ملائكته، وأولوا العلم من خلقه، وأنا أستودع الله هذه الشهادة إلى حين موتى، ودخولى قبرى، وخروجى منه، ولقاء ربى أنه لا تخيب لديه الودائع يقول ذلك ثلاث مرات أو خمسا أو سبعًا في كل يوم وتحت طى ذلك القول فائدة يبرزها الإخلاص لله تعالى وله ثمرة تظهرها الملازمة.

وينبغى أن تذكر لشيخك ما يطرأ عليك من أحوال وغيرها، وما تراه من منام، وإذا أشرق القلب بأنوار الصلوات، وظهر من دنس الخواطر لاح لك ثمرة صلاتك وورد على قلبك مبادئ الإخلاص، وتظهر لك الخفايا، وتمد من الغيب بالعطايا، وتظهر الحكم على لسانك، ويتعجب السامع من بيانك.

وينبغى للمبتدئ أن يتخذ له وردين، وردا بعد صلاة الصبح، وآخر بعد صلاة المغرب، وأما أهل التمكين والنهايات فالذكر شغل قلوبهم فى جميع الأوقات. واحذر من العجلة في الانتقال عن الصلاة على النبى ﷺ قبل أن تظهر لك ثمرتها وأضف إلى ما عندك ذكر النفى والإثبات فيكون ذلك دأبك

---

(١) [سورة آل عمران: آية ١٨].

وشغلك في سائر الأوقات وهو أن تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهو ذكر قوى، وهو أقوى من الأول لا يحتمله إلا الأقوياء.

فإذا كان للذاكر راجح العقل معتدل المزاج ثابت القدم قويا في حاله فيؤمر بالإكثار منه. وإن كان مضطربا ضعيفا محروف المزاج فيؤخذ بالرفق، ويجعل له من ذلك وردا معلوما حتى يأخذ على نفسه، وتسرى له القوة شيئًا فشيئًا فعند ذلك يكثر منه لأنه قد دخل في زمرة الأقوياء، فإن أكثر منه قبل التريض عليه مع احتراف مزاجه أحرقه الذكر، وانقطع عن الوصول فالزم ذلك الذكر إلى أن ينتظم لك شمل العالم في نطاق واحد وحتى لا ترى بعين قلبك في الدارين غير الواحد فتصلى على جميع الموجودات صلاة الأموات، وتكبر عليها أربع تكبيرات، ويتساوى عندك الحمد والذم فترى ذمهم تأديبًا لك وزجرا، وحمدهم فتنة لك فبأمره بحركة ألسنتهم بحمدك أو ذمك؛ ومتى بقى فيك للنفس نصرة ولو مثقال ذرة، فأنت صاحب دعوى ولك شيطانك أغوى، فإذا ظهر عليك ثمرة ذكر النفى والإثبات، فاشتغل بذكر التنزيه، وهو أن تقول: سبحان الله العظيم وبحمده. اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله.

فإذا ظهر لك ثماره وتبين لك أسراره، فعند ذلك تصير أهلا للذكر الفردي فتقول: الله الله الله مستديمًا ذلك.

وإياك ثم إياك أن تترك ذكر النبى ﷺ فإنه مفتاح لكل باب بإذن الكريم الوهاب، وقد وفقنا إذ وقفنا على هذا الطريق الغريب، فأخذنا منها بنصب فالحمد لله القريب المجيب.

طريق آخر:

وهى طريقة الجنيد، فلها ثمان شروط: دوام الوضوء، ودوام الصوم، ودوام

السكوت، ودوام الخلوة، ودوام الذكـــر، وهو لا إله إلا الله، ودوام ربط القلب بالشيخ، واستفادة علم الواقعات منه بفناء تصرفه في تصرف الشيخ، ودوام نفى الخواطر، ودوام ترك الاعتراض على الله تعالى في كل ما يرد عليه خيرا أو شرا، وترك السؤال من جنة أو تعوذ من نار:

طريق آخر:

وهى تقليل الغذاء بالتدريج فإن مراد الشيطان والنفس منه، فإذا أقل الغذاء قل سلطانهما.

طريق آخر:

وهو أن يؤمر على نفسه شيخا مأمونًا ليختار له ما يصلحه فإن المريد للسلوك كالطفل أو الصبى أو المبذر فإنه لابد لهم من ولى أو وصى أو قاض أو سلطان يتولى أمرهم.

obeikan.com

باب
في ذكر الخلوة

هي على الحقيقة محادثة السر مع الحق بحيث لا يرى غيره.

وأما صورتها فهو ما يتوصل به إلى هذا المعنى من التبتل إلى الله تعالى، والانقطاع عن غيره.

وأما خلوة الظاهر فإنها تجلو مرآة القلب من أشكال انتقشت فيها منذ غفل وعاشر الدنيا وما فيها، وهذه الأشكال ظلمات منطو بعضها على بعض وتتركب فيحصل منها صدأ القلب وهو الغفلة. فبواسطة الخلوة، والذكر، والصوم، والطهارة، والسكوت، ونفى الخواطر، والربط، وتوحيد الطلب: تنجلى مرآة القلب عن الصدأ. فالخلوة كالكبر والذكر نار ومبرد ومطرقة. والصوم والطهارة آلة التصقيل والسكوت. ونفى الخواطر ينفى الوارد من الظلمات. والربط تلميذ وتوحيد المطلب أستاذا، فهذه الخلوة وسيلة إلى الخلوة الحقيقية المتقدمة.

واعلم أنك إذا أردت الدخول إلى حضرة الحق والأخذ منه بترك الوسائط والأنس به أن لا يصح لك ذلك وفي قلبك ربانية لغيره، فإنك إن حكم عليك سلطانه فلابد لك من العزلة عن الناس، وإيثار الخلوة عن الملأ، فإنه على قدر بعدك من الخلق يكون قربك من الحق ظاهرا وباطنا، ويجب عليك تصحيح عقيدتك على مذهب أهل الحق وتعلم ما يقيم العبادات، وعليك قبل الخلوة بالرياضة، وهى تهذيب الأخلاق، وترك الرعونة وتحمل الأذى، فمن تقدم فتحه على رياضته لا يجئ منه رجل إلا في النادر ولابد من انسحاب التوبة على الذنوب وردّ المظالم المقدور على ردها من عرض ومال وتطهير باطنك من كل مذموم وتقييد باطنك من الجو لأن في مراتب الكون والفكر أضر شئ في جميع الحرات لا يظهر

لصاحبها ثمرة صحيحة، ولا يساعد النفس على حديثها، وتصرفاتها في مراتب السكون.

ولابد من العزلة عن الخلق والصمت وتقليل الطعام واجتهد في ترك شرب الماء، فإذا ألفت النفس الوحدة فعند ذلك ادخل الخلوة. وإذا اعتزلت عن الناس فاحذر من قصدهم إليك وإقبالهم عليك. فالمراد عن عزلة الناس ترك معاشرتهم، وليس المراد ترك صورهم، بل المراد لا يكون قلبك ولا أذنك وعاء لما يأتون به من فضول الكلام، فلا يصفو القلب من هذيان العالم. فأغلق بابك عن الناس، وباب بيتك عن أهلك، واشتغل بذكر رب الناس، ومن اعتزل وفتح بابا قصد الناس إليه فذلك طالب رياسة وجاه مطرود عن باب الله والهلاك إلى هذا أقرب من شراك نعله. واحذر من تلبيس النفس في هذا المقام فإن أكثر الخلق هلكوا فيه.

وينبغى أن يكون صاحب الخلوة شجاعا مقداما ثابتا عند سماع زعقة عظيمة أو وقع جدار أو مفاجأة أمر هائل غير جبان، ولا طائش كثير السكون دائم الفكرة، لا يفرح لمدح ولا يألم لذم قائما بما يحتاج إليه من أسباب خلوته لا يتكلف له أحد ذلك.

فإن كان كذلك فينبغى أن يدخل الخلوة وإلا فلا بل يستعمل العزلة، ويروض نفسه إلى أن يعتاد فلا تبقى النفس تحس به كما لا تحس بالعادات، فيدخل الخلوة عقب ذلك مستريحًا مستنشطًا طيب النفس، فارغا من المجاهدة خالى المحل من المكابدة، مهتما، متضرعًا للذكر والتخلى من المطلوب فإن المجاهدة والمكابدة في الخلوة تذهب الجمعية التى هى روحها ، لأنها تشغل في الوقت فلا يرد عليك وارد، فاجعل مجاهدتك في العزلة قبل الخلوة حتى تأنس النفس بذلك، ومتى تكلفت في خلوتك شيئًا من ذلك، من سهر أو جوع أو عطش أو برد أو حر، أو حديث نفس أو وحشة، فاخرج منها إلى عزلتك حتى تستحكم.

وإذا أردت الدخول إليها فاغتسل غسل الجنابة، ونظف ثيابك، وانو التقرب إلى الله تعالى.

وأما هيئته بيت الخلوة فليكن ارتفاعه قدر قامتك، وطوله قدر سجودك وعرضه قدر جلستك، ولا يكون فيه ثقب ينفذ فيه الضوء إلى الخلوة، ويكون بعيداً عن الأصوات، وبابه وثيقًا قصيراً في دار معمورة بالناس والأحسن أن يبيت أحد قريبا من باب الخلوة، ولا يكثر الحركة فيها قيل ولا يزيد على الفرائض والرواتب وقيل: بل يقتصر على الفرائض والزكعتين عند كل طهارة من الحدث واستقبال القبلة والاستمرار على الطهارة، وليكن موضع خلائك قريبا من خلوتك، وتحفظ عند خروجك من الهواء الغريب فإنه يؤثر فيك تفريقًا زمانا طويلاً، ولا تغير ما عليك. وإذا خرجت لحاجة سرّ عينيك وأذنيك، وليكن غذاؤك معك معدا أو خلف باب الخلوة محفوظًا.

ومن الشروط أن لا يعرف أحد أنك في خلوة، فإن كان ولابد فأقرب الناس إليك. وليكن يجهل ما أنت عليه ولا يعرف ما تقصده لأجل تشوف النفوس لخروجه بماذا يخرج وهى علة كبيرة تبعد الفتح عليه.

وأما الأكل في الرياضة والعزلة والخلوة فهو أن تأخذ اللقمة، وتسمى عليها خالقها بذلة وافتقار وحضور ومراقبة وتربص، حتى تعلم أنها قد استقرت في فم المعدة فبعد ذلك تأخذ لقمة أخرى تفعل بها مثل الأولى، وهكذا إلى أن يتم غذاؤك، وليكن شربك الماء مصا واقطع نفسك مرارا، ولا تجع الجوع المفرط، ولا تشبع الشبع المثقل وعند أول خلاء المعدة اشرع في تحصيل الغذاء وليكن من وجه لا يتضرر منه مخلوق بكلفة، ولا يكون من حيوان أصلا، ولا يصنع لك غذاءك سواك، وإن جهلت مزاجك فاعرض نفسك على الأطباء يعطوك من الغذاء ما يوافق طبعك ويصلح مزاجك وتقول لهم ما تريد أن تفعله من التقليل، وعدم

الفضول والثقل المؤدى إلى النوم والكسل فهم يركبون لك غذاء تبقى عليه الأيام الكثيرة الذى لا تحتاج فيها إلى غذاء ولا إبراز، والأمر الكل أن لا تستعمل إلا الغذاء الخفيف الملائم للطبع، البطئ الهضم المشبع الذى لا تحتاج معه إلى تصرف، والزم ما يحصل به اعتدال المزاج إذا أفرط يبسه أدى إلى خيالات وهذيانات، وإذا كان الوارد هو الذى يعطى الانحراف، فذلك هو المطلوب، والبس من الثياب ما يكون به بدنك معتدلا، وليكن من وجه لا يريبك مثل الأكل، وليكن عندك حفاظ نقى تباشر به عورتك تغسله في أكثر الأوقات، ولا تضطجع ولا تنم إلا عن غلبة ولا تقتل حيوانا لا نملة ولا غيرها، وإذا خفت من الهوام في رأسك فاحلقه وأعدد ثيابك لطهرك تستبدلها في أكثر الأوقات قبل أن يتعلق بها حيوان يشغلك ولا تلبث ساعة دون طهارة. والفرق بين الوارد الملكى والشيطان أن الملكى يعقبه برد ولذة، ولا تجد له ألما ولا تتغير لك صورة، ويترك علما والشيطانى يتبعه تهويش في الأعضاء، وألم وحيرة ويترك تخبطا والخاطر ما يرد على القلب من الخطاب الوارد الذى لا يعمل العبد فيه.

وما كان خطابا فهو على أربعة أقسام: رباني وهو أول الخواطر ويسميه سهل: السبب الأول ومقر الخواطر وهو لا يخطئ أبدا وقد يعرف بالقوة والتسلط وعدم الاندفاع بالدفع. وملكى: وهو الباعث على مندوب أو مفروض.

وبالجملة كل ما فيه صلاح يسمى إلهاما. ونفسانى: وهو ما فيه حظ النفس ويسمى هاجسا. وشيطانى: وهو ما يدعو إلى مخالفة الحق قال الله تعالى:

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾(١).

---

(١) [سورة البقرة: آية ٢٦٨].

وقال النبى ﷺ :

«لمة الشيطان تكذيب بالحق وإيعاذ بالشر».

ويسمى وسواسا ويعتبر بميزان الشرع فما فيه قربة فهو من الأولين، وما فيه كراهة أو مخالفة شرعا، فهو من الأخيرين ويشتبه في المباحات، فما هو أقرب إلى مخالفة النفس، فهو من الأولين، وما هو أهرب من الهواء وموافقة النفس، فهو من الأخيرين والصادق الصافى القلب الحاضر مع الحق سهل عليه الفرق بينهما والله أعلم.

وليكن ذكرك الاسم الجامع وهو: **الله الله الله، وإن شئت، هو هو، ولا تتعد** هذا الذكر واحذر أن يفوه به لسانك، وليكن قلبك هو القائل، ولتكن الأذن مصغية لهذا الذكر، حتى ينبعث الناطق من سرك، فإذا أحسست بظهور الناطق فيك بالذكر فلا تترك حالتك التى كنت عليها.

بـاب

التـوحيـد

قال الإمام الغزالى رحمه الله تعالى: التوحيد أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط، فلا يرى الخير والشر إلا منه ومن ثمرة ذلك التوكل وترك شكاية الخلق، وترك الغضب عليهم، والرضى والتسليم لحكم الله تعالى، وكان التوحيد جوهر نفيس له قشران أحدهما أبعد عن اللب من الآخر فخصص الناس الاسم بالقشر وأهملوا اللب.

القشر الأول: أن تقولك بلسانك: لا إله إلا الله، وهذا يسمى توحيدا، لأنه مناقض للتثليث الذى تصرح به النصارى، وقد يصدر عن المنافق الذى يخالف سره جهره.

القشر الثانى: أن لا يكون في القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول، بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به، وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون حراس هذا القشر من تشويش المبتدعة.

القشر الثالث: وهو اللباب أن يرى الأمور كلها من الله رؤية تقطع التفاته عن الوسائط، وأن يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره، ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى، وكل متبع هواه فقد اتخذ إلهه هواه قال الله تعالى:

﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾(١).

وعنه عليه الصلاة والسلام:

« أبغض إله عبد في الأرض عند الله هو الهوى ».

---

(١) [سورة الفرقان: آية ٤٣].

فصل

ومن تدبره بخفى فكره، وجد الموجودات كلها موحدة لله تعالى على لطيف الأنفاس، ولولا ذلك لغشيهم العذاب، ففى كل ذرة من ذرات العالم فما دونها سر من أسرار أسم الله فبذلك السر فهم عنه وأقر له بالتوحيد كل عالم على نوعه الذى هو قائم به علم أو لم يعلم كما قال الله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾(١).

فكل يوحد الله في كل مقام بما يليق بالربوبية، وبما تطيقه أوصاف العبودية على ما قدر لهم في تحقيق توحيدهم.

قال بعض العارفين: المسبح يسبح بسر باطن حقيقة طهارة أوصاف فكرته في ميدان عجائب الملكوت، ولطائف دقائق الجبروت، فالمسالك يسبح بذكره في بحار القلب، والمريد يسبح بقلبه في بحار الفكر، والمحب يسبح بروحه في بحار الشوق، والعارف يسبح بسره في بحار الغيب، والصديق يسبح بسر سره في سر الأنوار القدسيات المتنقلة في معانى أسماء الصفات مع ثبوت أقدام التمكين في اختلاف الأوقات.

---

(١) [سورة الرعد: آية ١٥].

بـاب
المعـرفـة

هي إدراك الشئ في ذاته وصفاته على ما هو به. ومعرفة البارى سبحانه وتعالى أعسر المعارف فإنه لا مثيل له، ومع ذلك فقد فرض الله تعالى على الخلق من إنس وجن وملك وشيطان معرفة ذاته وأسمائه وصفاته، وهى مثبتة في الحيوان وغير الحيوان وكل موجود سوى الله تعالى يعقل وجود خالقه من حيث وسعه قال الله تعالى:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾(١).

فشمل الإنسان والملك والحيوان والجماد والنبات والهواء والتراب والماء ومدح الله تعالى العارفين به وذم الجاهلين به والمنكرين له:

وهى على قسمين: عامة وخاصة، فمعرفته تعالى العامة المفروضة على سائر المكلفين: إثبات وجوده وتقديسه عما يليق به، ووصفه على ما هو عليه، وبما وصف به نفسه، فهو معروف وإن لم يكيف ولا يحاط به.

---

(١) [الإسراء: آية ٤٤].

القسم الثانى

المعرفة الخاصة

قيل: هى حال تحدث عن شهود، فالعارف من أشهده الله ذاته وصفاته وأسماءه وأفعاله والعالم من أطلعه الله على ذلك لا عن شهود، بل عن يقين وقيل: المعرفة نوع يقين يحدث عن اجتهاد في العبادات.

وقال الإمام الغزالى رحمه الله تعالى: والله أكبر من أن ينال بالحواس، ويدرك كنه جلاله بالفعل والقياس، بل أكبر من أن يدرك كنه جلاله غيره، بل أكبر من أن يعرفه غيره فإنه لا يعرف الله إلا الله، فإن منتهى معرفة عباده أن يعرفوا أن يستحيل منهم معرفته الحقيقية، ولا يعرف أيضا ذلك بكماله إلا نبى أو صديق.

أما النبى فيعبر عنه ويقول «لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»، وأما الصديق فيقول: العجز عن درك الإدراك إدراك.

وقيل: النفوس لا تتعين بعد مفارقة أجسادها إلا بالمعارف والعلوم التى انتقشت فيها، ولا نجد بعد المفارقة معلوما سواها، ولا معروفا غيرها. والطبيعة الإنسانية تحشر على صورة علمها والأجسام تنشر على صورة عملها من الحسن والقبح. فإذا انفصلت من عالم التكليف وموطن الاكتساب والترقى تجنى ثمرة ما غرست، ولا يزيد الإدراك في الآخرة على الإذراك في الدنيا إلا زيادة كشف ووضوح. وبحسب معرفة الله تعالى، والعلم بأسمائه وصفاته، تكون المشاهدة والنظر، لأن المعرفة في الدنيا تنقلب في الآخرة مشاهدة، كما تنقلب الحية سنبلة، وكما أن من لا بذر له لا زرع له كذلك من لا معرفة له في الدنيا لا رؤية ولا مشاهدة له في الآخرة، وبحسب تفاوت درجات المعرفة تتفاوت الرؤية في درجات التجلى:

(**لطيفة**) من أراد أن يستوقد سراجا احتاج إلى سبعة أشياء: زناد وحجر وحراق وكبريت ومسرجة وفتيلة ودهن.

فالعبد إذا طلب سراج المعرفة، فلا بد من زناد الجهد:

﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾ وحجر التضرع ﴿ **أدعوا ربكم تضرعا** ﴾.

وأما الحرق فهو احتراق النفس قال تعالى:

﴿ **ونهى النفس عن الهوى** ﴾

والرابع: كبريت الإنابة ﴿ **وأنيبوا إلى ربكم** ﴾

والخامس: مسرحية الصبر ﴿ **واصبروا إن الله مع الصابرين** ﴾

والسادس: فتيلة الشكر ﴿ **واشكروا نعمة الله** ﴾

والسابع: دهن الرضا بقضاء الله قال تعالى: ﴿ **واصبر لحكم ربك** ﴾.

وحكى أنه كان لبعض الصالحين أخ مات، فرآه في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: أدخلني الجنة آكل وأشرب وأنكح، فقال: ليس عن هذا سألتك هل رأيت ربك؟ قال: لا، ما يراه من يعرفه.

فصل

في الذكر وقراءة القرآن أيهما أفضل؟

قال الإمام الغزالي: قراءة القرآن أفضل للخلق كلهم، إلا الذاهب إلى الله تعالى في جميع أحوال بدايته، وفي بعض أحوال نهايته، فإن القرآن هو المشتمل على صنوف المعارف والأحوال والإرشاد إلى الطريق. فما دام العبد مفتقرا إلى تهذيب الأخلاق، وتحصيل المعارف، فالقرآن أولى به.انتهى.

فإذا كان هو الأفضل في حقك فعليك بتلاوته وتدبره، وانظر في تلاوتك إلي ما وجد فيه من النعوت والصفات التى وصف بها من أحب من عباده فاتصف بها وما ذم الله تعالى في القرآن من النعوت والصفات التى اتصف بها من مقته الله فاجتنبها، فإن الله تعالى ما ذكرها لك وأنزلها في كتابة عليك وعرفك بها إلا لتعلم بذلك، واجتهد أن تحفظ القرآن بالعمل كما حفظته بالتلاوة، فإنه لا أحد أشد عذابا يوم القيامة من شخص حفظ آية ثم نسيها، كذلك من حفظ آية ثم ترك العمل بها كانت عليه شاهدة يوم القيامة وحسرة، وقد قال ﷺ:

«مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب».

يعنى به التلاوة والقراءة، فإنها أنفاس تخرج فشبهها بالروائح، فطيها الأنفاس:

«**وطعمها طيب**» يعنى به الإيمان، ولذلك قال «**ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا**» فنسب الطعم للإيمان ثم قال: «**ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب**» من حيث إنه يؤمن دون إعلان «**ولا ريح لها**».

من حيث أنه غير تال في الحال التى لا يكون فيها تاليا، وإن كان من حفاظ القرآن، ثم قال:

«ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب».

لأن القرآن طيب، وليس سوى أنفاس التالى والقارئ في وقت تلاوته وحال قراءته:

«وطعمها مر».

لأن النفاق كفر الباطن، لأن الحلاوة للإيمان لأنها مستلذة، ثم قال:

«ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، طعمها مر ولا ريح لها» لأنه غير قارئ في الحال.

وعلى هذا المساق كل كلام طيب فيه رضا الله تعالى صورته من المؤمن والمنافق صورة القرآن في التمثيل، غير أن القرآن منزلته لا تخفى. فإن كلام الله لا يضاهيه شئ من كل كلام مقرب إلى الله تعالى.

فينبغى للذاكر أن يتخذ ذكره من الأذكار الواردة في القرآن، فيذكر الله به فيكون قارئا في الذكر، فلا يحمد الله، ولا يسبحه، ولا يهلله إلا بما ورد في القرآن عن استصحاب منه لذلك. انتهى.

قال الغزالى: وإذا كان العبد غير مفتقر إلى تهذيب الأخلاق، وتحصيل المعارف، بل جاوز ذلك واستولى النظر على قلبه، بحيث يرجى له أن يفضى به ذلك إلى الاستغراق، فمداومة الذكر أولى، فإن القرآن يحادث خاطره، ويسرح به في رياض الجنة، والمريد الذاهب إلى الله لا ينبغي أن يلتفت إلى الجنة ورياضها بل ينبغي أن يجعل همه هما واحدا، وذكره ذكرا واحدا حتى يدرك درجة الفناء والاستغراق ولا يدوم ولا يثبت عليه، فإذا رد إلى نفسه فقد تنفعه تلاوة القرآن. وهذه حالة نادرة عزيزة كالكبريت الأحمر يحدث به ولا يوجد، فيكون تلاوة القرآن أفضل مطلقا لأنه أفضل من كل حال إلا في حال من شغله المتكلم عن الكلام إذا لباب القرآن معرفة المتكلم بالقرآن، ومعرفة جماله، والاستغراق به، والقرآن سابق إليه وهاد نحوه، من أشرف على المقصد لم يلتفت إلى الطريق، وتقدم أن حقيقة الذكر، استلاء المذكور على القلب وهو واحد، والتفرقة والكثرة قبل ذلك مادام الذاكر في مقام الذكر باللسان، أو القلب، فحينئذ ينقسم إلى الأفضل وغيره وفضله بحسب الصفات التي يعبر عنها بالأذكار والصفات.

والأسماء الواردة في الله تعالى تنقسم إلى ما هو حقيقة في حق العباد

مسئولة في حقه تعالى، كالصبور، والشكور، والرحيم والمنتقم. وإلى ما هو حقيقة في حقه وإذا استعمل في حق غيره كان مجازا، فمن أكبر الأذكار لا إله إلا الله الحي القيوم، فإن فيه اسم الله الأعظم:

إذ قال ﷺ:

«إسم الله الأعظم في آية الكرسي وآل عمران».

ولا يشتركان إلا في هذا وله سر يدق عن فهمك ذكره، والقدر الذي يمكن الرمز إليه أن قولك لا إله إلا الله يشعر بالتوحيد.

ومعنى الوحدانية في الذات والرتبة حقيقي في حق الله تعالى غير مؤول، بل هو في حق غيره مجاز، ومؤول وكذلك الحي.

فإن معنى الحي هو الذي يشعر بذاته والميت هو الذي لا خبر له من ذاته، وهو أيضا حقيقي لله غير مؤول، ولا يوجد لغيره وما عداها من الأسماء الدالة على الأفعال؛ كالرحيم، والمقسط، والجامع، والعدل وغيره، فهو دون ما يدل على الصفات، لأن مصادر الأفعال هي الصفات، والصفات أصل، والأفعال تبع، وما عداها من الصفات التي تدل على القدرة والعلم والإدارة والكلام والسمع والبصر،فذلك مما يظن أن الثابت منها لله تعالى مفهوم ظواهرها، وهيهات أن المفهوم من ظواهرها أمور تناسب صفات الإنسان، وكلامه، وقدرته، وعلمه، وسمعه، وبصره، بل لها حقائق يستحيل ثبوتها للانسان، فيستخرج من هذه الأسامي بنوع من التأويل.

ويقرب من ذلك قوله: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. لأن سبحان الله: تقديس وهو حقيقي في حقه، فإن القدوس الحقيقي لا يتصور إلا له.

وقولك: الحمد لله مشعر باضافة النعم كلها إليه، وهو حقيقي إذ هو المنفرد

بالأفعال كلها تفردا حقيقيا بلا تأويل، وهو تبارك وتعالى المستوجب الحمد وحده إذ لا شركة لأحد معه في فعله أصلا البتة، كما لا شركة للقلم مع الكاتب في استحقاق المحمدة عند حسن الخط، وكل من سواه ممن يرى منه نعمة هو تعالى مسخر لها كالقلم، فهو منفرد باستحقاق الحمد.

وقولك: الله أكبر ليس المعنى به أنه أكبر من غيره إذا ليس معه غيره حتى يقال أكبر منه، بل كل ما سواه نور من أنوار قدرته، وليس لنور الشمس مع الشمس رتبة المعية حتى يقال إنها أكبر منه بل رتبة التبعية، بل معناه أنه أكبر من أن ينال بالحواس، ويدرك كنه جلاله بالعقل والقياس، بل أكبر من أن يعرفه غيره فإنه لا يعرف الله إلا الله.

فصل

[كلمة التوحيد]

قال ﷺ: «**أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله**».

وذكرها الله تعالى في كتابه العزيز في سبعة وثلاثين موضعا، وهي كلمة جمعت بين النفي والاثبات، والقسمة حاصرة دائرة بين النفي والإثبات، فلا يعرف ما يجري عليه هذه الكلمة، إلا من عرف وزنها، كما ورد في الخبر الآتي، وهي كلمة التوحيد، والتوحيد لا يماثله شئ، إذا لو ماثله شئ ما كان واحدا، ولكان اثنان فصاعدا فما ثم ما يزنه فإنه ما يزنه إلا المعادل والمماثل، وما ثم معادل ولا مماثل، فذلك هو المانع الذي منع لا إله إلا الله أن يدخل الميزان. فإن العامة من العلماء يرون أن الشرك هو الذي يقابل التوحيد لا يصح وجود القول به من العبد مع وجود التوحيد، فالإنسان إما مشرك، وإما موحد فلا يزن التوحيد إلا الشرك فلا يجتمعان في ميزان. أما صاحب السجلات فما مالت الكفة إلا بالبطاقة لأنها هي التي حواها الميزان من كون لا إله إلا الله المكتوبة المخلوقة في النطق ولو وضعت

لكل أحد ما دخل النار من تلفظ بتوحيد، وإنما أراد الله أن يري فضلها أهل الموقف في صاحب السجلات، ولا يراها ولاتوضع إلا بعد دخول من شاء الله من الموحدين النار، فإذا لم يبق في الوقف موحد قد قضى الله عليه أن يدخل النار ثم بعد ذلك يخرج بالشفاعة أو العناية الإلهية، عند ذلك يؤتي صاحب السجلات، ولم يبق في الموقف إلا من يدخل الجنة ممن لاحظ له في النار وهو آخر من يؤذن له من الخلق فإن لا إله إلا الله له البدء والختام وقد يكون عين بدئها خاتمها لصاحب السجلات.

فصل

[الذكر الأقوى]

ما وضع فى العموم إلا أفضل الأشياء وأعمها نفعا وأثقلها وزنا، لأنه يماثل بها أضداد كثيرة فلابد أن يكون فى ذلك الموضوع فى العامة من القوة ما يقابل به كل ضد، قال عليه الصلاة والسلام:

«أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله».

فظهر مرجوحية قول من ادعى الخصوص من الذكر قول «الله الله» وهو هو إذ هو من جملة الأقوال التى لا إله إلا الله أفضل منها عند العلماء بالله. فعليك بلا إله إلا الله، فإنه الذكر الأقوى، وله النور الأضوى، ولا يشعر بذلك إلا من لزمه وعمل به حتى أحكمه، فإن الله ما وضع رحمته إلا للشمول وبلوغ المأمول هذا على طريقة بعضهم ومن يرى التدريج على الأذكار بحسب المقامات والأحوال يرى الأفضل فى كل حال ما يناسبها كما تقدم.

واعلم أن من العارفين من اختار السكوت عن الذكر فى النهاية.

روى أنه عليه ا لصلاة والسلام قال:

« من عرف الله كل لسانه »

ويروى: أن الجنيد رحمه الله كان فى الكلام فزعق الشبلى وقال: الله، قال الجنيد الغيبة حرام، معناه أنك إن كنت غائبا فذكر الغائب غيبة وإن كنت حاضرا فذكر الاسم فى الحضرة سوء أدب.

تبيه وإيقاظ

إياك ومعاداة أهل لا إله إلا الله فان لها من الله الولاية العامة، فهم أولياء الله وإن خطئوا وجاءوا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله لقيهم الله بملئها مغفرة، ومن تثبت ولايته حرمت محاربته، ومن حارب الله فقد ذكر الله جزاءه فى الدنيا والآخرة، وكل من لم يطلعك الله على عداوته لله فلا تتخذه عدوا، فأقل أحوالك إذا جهلته أن تهمل أمره، فإذا تحققت أنه عدو الله وليس إلا الشرك، فتبرأ منه كما فعل إبراهيم الخليل عليه السلام فى حق أبيه آزر.

قال الله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ** ﴾(١). هذا ميزانك قال الله تعالى: ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ** ﴾(٢).

كما فعل إبراهيم الخليل عليه السلام

﴿ **أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ** ﴾(٣).

حتى نعلم ذلك، ولا نعادى عباد الله بالإمكان ولا بما ظهر على اللسان. وينبغى أن تكره فعله والعدو لله إنما يكره عينه.

---

(١) [سورة التوبة: ١١٤].

(٢)، (٣) [سورة المجادلة: ٢٢].

وقال ﷺ : « من عادى لى وليا فقد آذنته بحرب » .

فإنه إذا جهل أمره وعاداه فما وفى حق الحق فى خلقه، فإنه ما يدرى ما علم الله فيه حتى تبرأ منه واتخذه عدوا، وإذا علم حاله الظاهر وإن كان عدوا لله فى نفس الأمر، وأنت لا تعلم فواله لإقامة حق الله ولا تعاده فإن الأسم الإلهى الظاهر يخاصمك عند الله، ولا تجعل لله عليك حجة فتهلك فإن لله الحجة البالغة .

فعامل عباد الله بالشفقة والرحمة كما أن الله يرزقهم على كفرهم مع علمه بهم، وما رزقهم إلا لعمله بأن الذى هم فيه ما هم فيه، فهم وهم فيه به لما قد ذكرناه بلسان العموم فإن الله خالق كل شئ وكفرهم مخلوق فيهم وبلسان الخصوص ما ظهر حكم فى موجود إلا بما هو عليه فى حال العدم فى تنويه الذى عليه له منه فلله الحجة البالغة على كل أحد .

فعم برحمتك وشفقتك جميع الحيوان والمخلوقين ولا تقل هذا جماد ما عندهم خبز نعم عندهم أخباز أنت ما عندك خبز فاترك الوجود على ما هو عليه وارحمه برحمة موجده فى وجوده .

فصل

[آفات وعلامات فى طريق السائرين]

آفات المسير إلى الله تعالى القاطعة على بعض السائرين طريقهم عشرة : رؤية العمل وامتداد الأمل، وتحدث النفس ببلوغ الولاية والركون لإقبال الخلق، والمقنع بمرأة الأحلام والتأنس بالورد والتلذذ بالوارد والسكون للوعد، والاكتفاء بالزعم والغرة بالله .س

وعلامات السقوط من عين الله ثلاثة : الرضى عن النفس، وعدم الرضى عن الله، ومزاحمة الحق بالقضاء والقدر .

وعلامات القرب من الله ثلاث: ترك الحظ، والقيام بالحق، والتواضع لله فى الخلق.

وعلامات الوصول إلى الله ثلاث: الفهم عن الله تعالى، والاستماع من الله، والأخذ عن الله.

وعلامات الاختصاص بالله ثلاث: ترك الاختيار، وسلب التدبير، وسلب الإرادة.

وعلامات النيابة عن الله ثلاث: إبوال أوصاف فانية بأوصاف باقية، وصفات فانية بصفات باقية، ومحو ذات فانية فى ذات باقية.

﴿اللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

وعلامات صحة محبة العبد ربه ثلاث: عدم الاختيار، واستحلاء كل واقع من الأقدار، ورؤية كمال المحبوب فى كل شئ رضى عنه بكل شئ وإسلاما له فى كل شئ.

وعلامات ثبوت حب الله عبده ثلاث: رضاه عنه فى كل ما يقع منه، والإذن بالتحدث عنه، وإلقاء السر عليه بحكم حكمته البالغة الدالة عليه.

---

(١) [سورة البقرة: آية ٢٤٧].

باب

ما ينبغى لأهل الطريق

أن يأخذوا أنفسهم به ويلازموه

اعلم أن طريق الله بعيد عن النفس المنازعة، وظهور النفس النازعة، ولا اعتذار فيه، ولا مسامحة، ولا دعة فيما يؤدى إلى الخروج عن الطريق. وعندهم المؤاخذة باللسان وعدم الصفح فيما لا يسمح فيه الشرع، ويسامحون فى حقوقهم وما يرجع إليهم.

ومن شرط أهل هذه الطريق: أن ينصفوا الناس من أنفسهم ولا ينصفون من أحد، ويقبلون المعذرة من الأجناب ولا يعتذرون، وينصرون، ولا ينتصرون ويعاملون الناس بالرحمة والشفقة ويتعاملون فيما بينهم بالمناصحة، ولا يسلم واحد منهم لصاحبه ما لا تقتضيه طريقهم هذا إذا كانوا متساوين فى الرتبة، فإن كان صاحب الحركة أعلا فالتسليم واجب وليس بينهم بغضاء ولا شحناء ولا تحاسد فى مواهب الله. ولا يقول أحدهم: لى ولا عندى ولا متاعى ولا نعلى ولا ثوبى، وهم سواء فيما يفتح عليهم ليس لواحد منهم ملك دون صاحبه.

ومن طريقهم ترك موافقة النسوان ومجالستهن، ومؤاخاتهن، وترك صحبة الأحداث ومكالمتهم.

ومن شرطهم: أن لا يعدوا، فمن غلط ووعد وجب عليه الوفاء، وصدق الحديث والورع فى المنطق والمطعم. والنظر وغير ذلك، وعدم المراءات وحفظ آداب الشريعة دقيقها وجليلها إذا علمها ويسأل إذا لم يعلم عن كل حالة يكون عليها ما حكمها فى الشرع؟ فالخائن فى الآداب الشرعية أحرى أن يخون فى الأسرار الإلهية والله تعالى لا يهب أسراره إلا للأمناء.

ومن طريقهم: أن لا يختاروا لأنهم مع ما اختار الله لهم، وأن لا يعرجوا على مباح لأنه تضييع للوقت. ومن دخل هذه الطريق وهو ذو زوج فلا يطلق أو أعزب فلا يتزوج حتى يكمل فإذا كمل فهو فى ذلك على ما يلقى إليه ربه.

ومن شرط السالك أن لا يبيت على معلوم مع تحقيق الورع فى الأخذ، ولا يأخذ السالك ليعطى أحدا، فإنه حجاب له. وللكامل أن يأخذ ويمسك إن شاء ويعطى إن شاء فإنه مع ما يلقى الله إليه فى الحكم كصورة التلميذ مع شيخه، فكما لا يعترض على التلميذ فى الفعل الذى يأمره به شيخه كذلك لا يعترض على الشيخ فيما يفعله فانه عن الله إذا كان شيخا حقيقة.

ومن شرطهم ترك الاعتراض إلا أن يكون المعترض أعلا فإنه حينئذ تأديب، فإن كان دونه فعليه الصمت. فإن أنكر فقد أبطل أصل عقد طريقه فإنهم أهل الصدق لا ينطقون إلا بما يشاهدون، وإذا زار المريد شيخا فليفرغ قلبه من جميع ما عنده ليقبل ما يلقى الشيخ فلا يحصل إنكار فإن وقع ما لا يقبله لام نفسه وقال هذا مقام لم أصل إليه، ولا ينسب الشيخ إلى الخطأ، ومن دخل على الشيخ ليختبره فهو جاهل، ولا يطلب من الشيوخ الكلام على الخاطر إنما يطلب منهم معرفة دسائس النفوس وأدويتها، والمكاشفات من أحوال المريدين لا أحوال العارفين، وإذا شاهدوا عاصيا فى حال معصيته لا يعتقدون فيه الإصرار، ويقولون لعله تاب فى سره أو لعله ممن لا تضره المعاصى لا عتناء البارى به فى عاقبة أمره ولا يعتقدون فى أحد سوءا إلا فيمن أطلعهم الله على عاقبة أمره، لكنهم لا يعيرون أحدا. ومن رأى نفسه خيرا من أحد من غير أن يعرف مرتبته ومرتبة ذلك الآخر بالغاية لا بالوقت فهو جاهل بالله مخدوع لا خير فيه، ولو أعطى من المعارف ما أعطى. والازدراء بالعلم من جانب الحقيقة هو الإزدراء بالله تعالى وهو نقيض الولاية.

ومن أوصافهم: تطهير النفس من كل خلق دنيء، وتحليتها بكل خلق سنى ويتحملون الأذى، ولا يؤذون، ويحملون كل الناس، ولا يحملون كلهم على أحد ويعينون على أسباب البر ويغيثون الملهوف ويرشدون الضال، ويعلمون الجاهل وينبهون الغافل، ولا يتخذون حجابا ولا حجابا، وكل من طلبهم وجدهم، وكل من أرادهم وصل إليهم، لا يستترون عن أحد ولا يمنعون سائلا، يقرون الضيف، ويؤنسون المستوحش، ويؤمنون الخائف ويشبعون الجائع، ويسقون العطشان، ويكسون العارى، ويعينون الخادم، ولا يتركون فضيلة، ولا يفعلون رذيلة.

ومن أوصافهم: المجاهدات البدنية من الجوع والعطش والعرى ومقاساة الأربع: الموت الابيض وهو الجوع، والموت الأحمر وهو مخالفة الهوى، والموت الأسود وهو تحمل الأذى، والموت الأخضر وهو طرح الرقاع بعضها على بعض.

ومن أوصافهم: ترك الكونين من قلوبهم، والإيثار بما فى أيديهم على إخوانهم من خلق الله، والاعتماد على الله فى جميع أمورهم والرضى بكل ما يجريه عليهم مما تكرهه النفوس والصبر على الآلام والاغتراب عن الأوطان، وهجران الخلائق من غير اعتقاد سوء فيهم بل إيثار للحق على من نفوسهم، ومن سعى فى ذلك قبل فراغه من نفسه فهو طالب لرياسة وذكر جميل.

ومن أخلاقهم: القناعة، وهى وقوع النفس عند ما رزقت من غير أن تتشوف إلى زيادة، وأن لا يحلقوا شعرا ولا يقصروه ولا يقصوا ظفرا، ولا يتجردون عن ثوب يعطونه لأحد إلا على طهارة، لأنهم يقصدون أن لا يفارقهم شئ إلا وهم على طهارة تقول الملائكة « **تركناهم وهم يصلون** ».

ومن أوصافهم: الدعاء إلى الله وفاء بالعبودية والفقير والذلة والخشوع والخضوع والتواضع لله تعالى لظهور الأسماء التى تقابل هذه الصفات، فإنه لا

يعرف سر هذه الأسماء الإلهية إلا من اتصف بهذه الصفات التى تقابلها فإنها روح العبودية.

ومن أحوالهم: النظر فى عيوبهم والاشتغال بنفوسهم، والتعامى عن عيوب الناس، ولا يعتقدن فى أحد إلا خيراً، ويعودون ألسنتهم الخير، ويغضون البصر عن فضول النظر، والإسراع فى المشى والصمت إلا عن الخير والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر عند من يخاف ويرجى من الملوك، وسلامة الصدر لجميع الخلق والدعاء للمسلمين بظهر الغيب، وخدمة الفقراء، والشفقة والرحمة لجميع عباد الله من إنسان أو حيوان غير إنسان.

وذكر أنه كان ببخارى وال وكان من أظلم الناس، فركب يوما فرأى كلبا أجرب وكان ذلك اليوم فيه برد شديد فقال لبعض رجاله: إرفعوا ذلك الكلب، فرفع إلى داره، فتلطف به وأحسن إليه، فلما جاء الليل نودى فى منامه كنت كلبا، فو هبناك لكلب.

ومن أحوالهم: نشر محاسن الناس، وستر عيوبهم إلا المبتدعة، فيجب على كل أحد التعرف بحالهم ليأخذ الناس حذرهم منهم.

ومن أحوالهم: النظر بعين التعظيم لا بعين الأزدراء، ولا يرون أنفسهم أفضل من أحد، ولا يرون لهم فضلا على أحد ولا حقا، وأن للخلق عليهم حقوقا، ولا يقرضون أحد شيئا وإن طلب محتاج منهم شيئا أعطوه، ولا يحدثون أنفسهم أنهم يأخذون منه شيئا وإن رد إليهم ساسوه فى إمساكه بلطافة، فإن أبى أخذوه منه ودفعوه إلى محتاج إليه، ولا يدخل لهم فى ملك ألبتة، فإنهم لا يرجعون فيما خرجوا عنه، وإذا سقط من أحد منهم شئ فى الطريق إما ثوب أو مال ولو ألف دينار ويكونون قد مشوا عنه فإنهم لا يطلبونه، ولا يرجعون لطلبه، ولا ينشدونه، فان تغيرت نفوسهم عند ذلك، فهم أصحاب علة وللكون فى

قلوبهم حظ، فليسعوا فى زوال هذه العلة، فان رده إليهم راد من غير طلب فان شاءوا أمسكوه، وإن شاءوا أخرجوه.

ومن أوصافهم: تقديم الفقراء على الأغنياء وأبناء الآخرة على أبناء الدنيا، وليس من شرطهم أن لا يكون عندهم مال، بل منهم من عنده مال، ومنهم من ليس عنده شئ.

ومن أوصافهم: التلذذ بالطاعات فى الخلوات والجلوات، ومراعاة الأنفاس مع الله، وحفظ الخاطر مع الله فى تلقى الواردات فى الأوقات، والرضا عن الله فى جميع الحالات والحمد لله على كل حال. ومن خرق عادة فى نفسه مما استمرت عليها نفوس الخلق، ونفسه، فان الله يخرق له عادة مثلها فى مقابلتها تسمى كرامة عند العامة. وأما الخاصة فالكرامة عندهم العناية الإلهية التى وهبتهم التوفيق والقوة حتى خرقوا عوائد أنفسهم.

القسم الثانى من الكتاب
فى شرح الاذكار
وفيه فصول وخاتمة هى من جملة الاصول

فصل
فى مباحث تتعلق بكلمة «لا إله إلا الله»

البحث الأول

قال النحاة: إلا إذا دخلت على نكرة وتكون للنفى العام، فاذا قلت لا رجل فى الدار نفيت القليل من الرجال والكثير، ولهذا لا يصح ان يقوله بعد ذلك: بل رجل أو رجلان.

البحث الثانى

زعم جماعة من النحاة فيها حذف وإظهار، والتقدير: لا إله إلا الله أو لا إله فى الوجود إلا الله. وفيه نظر لأنه إن كان التقدير لا إله لنا إلا الله مفيداً للتوحيدالحق، إذ يحتمل أن يقال هب أنه لا إله إلا الله فلم قلتم إنه لا إله لجميع المحدثات والممكنات إلا الله؟ ولهذا لما قال الله تعالى:

﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ﴾[١] قال بعده ﴿لَّا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَـٰنُ الرَّحِيمُ﴾[٢].

---

(١)، (٢) [سورة البقرة: آية ١٦٣].

بقى لقائل أن يقول: هب أن إلهنا واحد فلم قلتم: إن إله الكل واحد فأزاله بقوله: لا إله إلا هو، وإلا لكان تكريرا محضا. التقدير الثانى: أى لا إله فى الوجود إلا الله ففيه نظر أيضا لأنه لا موجب لهذا الاضمار، ولو قدرناه لكان نفيا لوجود الإله، ولو لم نقدره وأجرينا الكلام على ظاهره لكان نفيا لماهية الإله ومعلوم أن نفى الماهية فى إثبات التوحيد من نفى الوجود.

فإن قيل: نفى الماهية غير معقول، لأن قولك السواد ليس بسواد حكم بأن السواد قد انقلب إلى نقض وصيرورة الشئ عين نقيضه محال أما إذا قلنا السواد غير موجود فهو معقول.

والجواب: لا نسلم أن نفى الماهية غير معقول، فإنك إذا قلت: السواد ليس بموجود، تكون قد نفيت الوجود، لكن الوجود من حيث هو ماهية، فاذا نفيت الماهية المطلقة نفيت الماهية المسماة بالوجود، فنفى الماهية معقول، فيجوز إجراء كلمة لا إله إلا الله على ظاهرها فإذا قلت السواد ليس بموجود نفيت الماهية وما نفيت الوجود، وإنما نفيت موصوفة الماهية بالوجود فمو صوفية الماهية بالوجود هل هى أمر مغاير للماهية والوجود أم لا؟ فان كانت مغايرة لهما كانت تلك المغايرة ماهية فكان قولنا السواد ليس بموجود نفيا لتلك الماهية المسماة بالموصوفية، وحينئذ يعود الكلام المذكور. وأما إن قلنا: إن موصوفية الماهية بالوجود ليس أمرا مغايرا للماهية والوجود امتنع توجه النفى إليهما، وإذا امتنع ذلك بقى النفى متوجها إما إلى الماهية وإما إلى الوجود، وحينئذ يحصل غرضنا من أن الماهية يمكن نفيها فصح قولنا: لا إله إلا الله من غير إضمار.

البحث الثالث

قولنا: الله من لا إله إلا الله ارتفع لأنه بدل من موضع لا مع اسمها لأنك إذا قلت: ما جاءنى رجل إلا زيد فقولك: إلا زيد مرفوع بالبدلية لأنالإبدال هو

الإعراض عن الأول والأخذ بالثانى، فصار التقدير: ما جاءنى إلا زيد، وهذا معقول، لأنه يفيد نفى المجئ عن الكل إلا عن زيد، وقولك: جاءنى القوم إلا زيد البدلية فيه غير ممكنة، لأن التقدير حينئذ: جاءنى إلا زيد فيقتضى أنه جاءه كل أحد إلا زيد، وهو محال.

البحث الرابع

اتفق النحاة على أن محل إلا فى هذه الكلمة محل غير، فالتقدير: لا إله غير الله قال الشاعر:

وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان

المعنى: كل أخ غير الفرقدين، فإنه يفارقه أخوه قال الله تعالى:

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ ﴾(١).

التقدير: لو كان فيهما آلهة غير الله:

﴿ لَفَسَدَتَا ﴾(٢).

لأنا لو حملنا « إلا » على الاستثناء لم يكن لا إله إلا الله توحيدا محضا لأنه يصير التقدير: لا إله يستثنى عنهم الله، فيكون نفى الآلهة استثنى عنهم الله بل عند من يقول بدليل الخطاب إثباتا لذلك وهو كفر: فثبت أنه لو كانت كلمة إلا محمولة على الاستثناء لم يكن قولنا: لا إله إلا الله توحيدا محضا، وأجمعت العقلاء على أنه يفيد التوحيد المحض، فوجب حمل إلا على معنى غير حتى يكون معنى الكلام لا إله غير الله.

---

(١)، (٢) [سورة الأنبياء: آية ٢٢]

البحث الخامس

[فى الاستثناء]

قال جماعة من الأصوليين: الاستثناء من النفى لا يكون إثباتا.

احتجوا بأن الاستثناء مأخوذ من قولك: ثنيت الشئ عن وجهته إذا صرفته عنها، وإذا قلت: لا عالم ففيه الحكم لهذا العدم ونفى هذا العدم، ثم إذا قلت عقبه إلا زيد فهذا الاستثناء يحتمل أن يعود إلى الحكم بالعدم، وعند زوال الحكم بالعدم يبقى المستثنى مسكوتا عنه غير محكوم عليه لا بالنفى ولا بالإثبات فلا يلزم الثبوت. أما إن كان تأثير الاستثناء فى صرف العدم ومنعه فيلزم تحقق الثبوت، لأنه لما ارتفع العدم وجب حصول الوجود ضرورة إذ لا واسطة بين النقيضين: لأن الألفاظ وضعت دالة على الأحكام الذهنية لا الموجودات الخارجية فصرف ذلك الاستثناء إلى الحكم بالعدم أولى من صرفه إلى نفس ذلك العدم، وأيضا عدم الشئ فى نفسه ووجوده لا يقبل تصرف هذا القائل بل القائل لتصرفه هو حكمه بذلك الوجود والعدم، فعود الاستثناء إلى الحكم أولى من عوده إلى المحكوم به.

الحجة الثانية: فى بيان أن الاستثناء من النفى ليس باثبات وقد جاء فى الحديث والعرف صور كثيرة فى الاستثناء من النفى مع أنه لا يقتضى الثبوت كقوله ﷺ:

«**لا نكاح إلا بولى**» وقوله ﷺ: «**لا صلاة إلا بطهور**».

ويقال فى العرف: لا عز إلا بالمال، ولا مال إلا بالرجال، والمراد من الكل الاشتراط وإن ورد فى صور أخر أن الاستثناء من النفى إثبات فنقول: لا بد أن يكون مجازا فى أحد القسمين إلا أنا نقول إذا لم يقتض أن يكون الخارج من النفى إثبات فحيث أفاد ذلك احتمل أن يكون ذلك تركا لما دل عليه اللفظ. فإن قلنا: يقتضى أن يكون الخارج من النفى إثباتا فحيث لا يكون ذلك لزمنا ترك

العمل بما يكون اللفظ دليلا عليه، ومعلوم أن الأول أولى لأن إثبات الأمر الزائد بدليل زائد ليس فيه مخالفة الدليل، بل ترك ما دل الدليل عليه يكون مخالفا للدليل بالاستثناء من النفى ليس باثبات فقولنا: لا إله إلا الله تصريح بنفى سائر الآلهة فلا يكون اعترافا بوجود الله تعالى فلا يكون كافيا فى صحة الإيمان، وأيضا تقدم أن لا بمعنى غير فقولنا: لا إله إلا الله معناه: لا إله غير الله فيصير المعنى: نفى إله يغاير الله تعالى فلا يلزم نفى ما يغاير الشئ إثبات هذا فيعود الإشكال.

والجواب: إن إثبات الإله كان متفقا عليه بين العقلاء قال تعالى:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾(١).

إلا أنهم كانوا يثبتون الشركاء والأنداد فكان المقصود بلا إله إلا الله نفى الشركاء والأنداد وإثبات الإله من لوازم العقول. سلمنا أن لا إله إلا الله دلت على نفى سائر الآلهة وعلى إثبات إلهية الله تعالى إلا أنها بوضع الشرع لا بمفهوم أصل اللغة.

البحث السادس

يجوز أن يقال: لا رجل فى الدار، ولا رجل إلا فى الدار. أما الأول فإنه يوجب نفى الرجال بالكلية فإن «لا» دخلت على نكرة فأفادت النفى العام، فلا يصح أن نقول بعد ذلك: بل رجل أو رجلان فإنه نفى للماهية، يقتضى نفى جميع أفرادها. أما قولنا: لا رجل إلا فى الدار فهو نقيض لا رجل فى الدار، لكن قوله: لا رجل إلا فى الدار يفيد ثبوت رجل واحد، فإذا قلنا: لا رجل فى الدار وجب أن يفيد عموم النفى ليتحقق التناقض بين القولين، فتبين أن لا رجل فى الدار أقوى فى الدلالة على عموم النفى من قولنا إلا رجل مع أن كل واحد منهما

---

(١) سورة الزخرف آية ٨٧.

يفيد عموم النفى ولما كان البناء على الفتح أقوى فى الدلالة على العموم اتفقوا عليه فى قولنا لا إله إلا الله.

البحث السابع

[الاثبات والنفى]

قيل تصور الإثبات مقدم على تصور النفى لإمكان تصور الإثبات وإن لم يخطر معنى النفى والعدم على البال، ويمتنع تصور العدم والنفى قبل تصور الإثبات لأن العدم غير معقول إلا بالإضافة إلى أمر معين.

وإذا كان تصور الإثبات مقدما على تصور النفى فلم جعل النفى الذى هو الفرع مقدما.

فالجواب: أن فى تقديمه أمورا:

الأول: أن نفى الربوبية عن غيره تعالى ثم إثباتها له آكد من إثباتها له من غير نفيها عن غيره، وقولنا ليس فى البلد عالم غير زيد أمدح من زيد عالم البلد.

الثانى: أن لكل إنسان قلبا واحدا والقلب الواحد لا يسع الاشتغال بشيئين فى وقت واحد فإذا اشتغل بأحد الشيئين يبقى محروما من الشئ الآخر بقدر اشتغاله بالآخر، فينبغى لقائل لا إله إلا الله أن ينوى بلا إله إخراج ما سوى الله من قلبه فإذا صادف القلب خاليا مما سوى الله ثم حضر فيه سلطان الله، أشرق نوره إشراقا تاما وكمل استيلاؤه عليه.

الثالث: النفى جار مجرى الطهارة والإثبات جار مجرى الصلاة، فكما أن الطهارة مقدمة على الصلاة فكذلك لا إله مقدم على إلا الله ويجرى مجرى تقدم الاستعاذة على القراءة، وكما يقدم تطهير البيت عن الأقذار لنزول الملك فيه فكذلك ههنا، ولهذا قال المحققون النصف الأول من هذه الكلمة: تنظيف

الأسرار، والثانى: حلول الأنوار عن حضرة الجبار، والنصف الأول انفصال والثانى اتصال والنصف الأول إشارة إلى قوله:

﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾(١) والثانى إلى قوله ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ ﴾(٢).

البحث الثامن

[استحالة وجود إلهين]

لقائل أن يقول: من عرف أن للعالم صانعا قادرا عالما موصوفا بصفات الإلهية الثبوتية والسلبية عرف الله معرفة تامة وعلمه بعدم الإله الثانى لا يزيده علما بحقيقة الإله وصفاته لأن عدم الإله الثانى ليس عبارة عن وجود الإله الأول ولا صفة من صفاته. والعلم بذات الإله وصفاته لا يكفى فى تحقيق النجاة بل مالم يعلم عدم الإله الثانى فلا يحصل العلم المعتبر فى النجاة.

فإن قلت: لم كانت معرفة ذات الله تعالى وصفاته غير كافية فى تحقيق النجاة وكان العلم بعدم الإله الثانى معتبرا فى تحقيق النجاة.

فالجواب: أن بتقدير أن يكون إلهان تعالى الله لا يعلم العبد أنه عبد هذا أو عبد ذاك أو هما معا، فيحتمل أن يكون عابدا لغير خالقه. أما إذا عرف أنه لا إله إلا الله فيكون جاز بكونه عابدا مولاه وخالقه فلا تحصل النجاة إلا بالتوحيد.

قلت وعندى أنه يستحيل عقلا فرض وجود إلهين لأن الإله من له صفات الجلال والجمال الثبوتية والسلبية ثم من سواه وهى فى سواه مكتسبة منه فلا يكون الإله إلا واحداً وهو الله بدليل قوله تعالى:

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾(٣).

---

(١) [سورة الذاريات: آية ٥٠].

(٢) [سورة الأنبياء: آية ٩١].

(٣) [سورة الأنبياء: آية ٢٢].

البحث التاسع

[فى أسرار لا إله إلا الله]

فى قوله هذه الكلمة على أحوال زدناها التلفظ بها فتحقن دم قائلها وتحرز ما له قال ﷺ :

« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » .

ويشترك فى ذلك المخلصون والمنافقون، فكل من تعلق بهذه الكلمة نال من بركتها وأحرز حظا من فوائدها، فمن طلب بها الدنيا نال الأمن فيها والسلام. ومن طلب الآخرة فقد جمع بين الحظين وحاز السعادة فى الدارين وليس للإقرار باللسان سوى درجة واحدة.

الحال الثانى : أن يضم إلى القول الاعتقاد بالقلب على سبيل التقليد، فالمقلد ليس بعالم، ولا عارف، بل اختلفوا هل يكون مسلما أم لا؟ وللاعتقاد بالقلب درجات بحسب قوة الاعتقاد وضعفه، وكثرة الاعتقاد وقلتها.

الحال الثالث : أن يضم إلى الاعتقاد بالقلب معرفة الدلائل الاقناعية المقوية له، والخلق فيها متفاوتون تفاوتا غير مضبوط.

الحال الرابع : أن يثبت اعتقاده بالبراهين القطعية إلا أنه ليس من أهل المشاهدات والمكاشفات والتجليات.

الحال الخامس : أن يكون من أهل المشاهدات والمكاشفات والتجليات، ونسبتهم إلى أصحاب البراهين القطعية كنسبة أصحاب البراهين إلى عوام الخلق.

واعلم أن علوم المكاشفات لا نهاية لها لأنها عبارة عن سفر العقل فى مقامات الجلال والجمال والعظمة والكبرياء والقدس.

(تنبيه) من انكشف له عن أسرار لا إله إلا الله أقبل على الله، وأخلص فى عبادته لله، ولم يلتفت إلى أحد سواه، فلا يرجو ولا يخاف غيره ولا يرى الضر والنفع إلا منه وترك من سواه وتبرأ من شرك الباطن والظاهر.

فصل

فى إقامة الدليل على أنه واحد لا شريك له عقلا ونقلا

أما عقلا فمن وجوه:

الحجة الأولى:(١) وجود إلهين محال، إذا لو فرضنا وجودهما لكان كل واحد منهما قادراً على كل المقدورات. فلو فرضنا أن أحدهما أراد تحريك زيد والآخر تسكينه، فإما أن يقع المرادان وهو محال لا ستحالة الجمع بين الضدين أو لا يقع واحد منهما وهو محال لأن المانع من وجود مراد كل واحد منهما حصول مراد الآخر ولا يمتنع وجود مراد هذا إلا عند وجود مراد الآخر وبالعكس، فلو امتنعا معا لوجدا معا وذلك لوجهين:

الأول: لما كان كل واحد منهما قادرا على ما لا نهاية له امتنع كون أحدهما أقدر من الآخر بل يستويان فى القدرة فيستحيل أن يصير مراد أحدهما أولى بالوقوع من الآخر إذ يلزم ترجيح أحدهما المتساويين من غير مرجع وهو محال.

الثانى: أنه إن وقع مراد أحدهما دون الآخر فالذى يحصل مراده له قادر والذى لا يحصل مراده عاجز فلا يكون إله الخلق وإن قيل لا نسلم صحة المخالفة فى الإرادة لوجهين:

---

(١) فى الأصل: [الأول] واستبدلناها لتنسجم مع توصيف المؤلف رحمه الله حيث ورد لاحقا: الحجة الثانية والحجة الثالثة وهكذا وحتى لا تتداخل كلمة [الأول] فيما جاء بعدها.

أحدهما أنه لا بد أن يكون كل واحد منهما عالما بجميع المعلومات، فيكون كل واحد منهما عالما بأن أحد الضدين يقع والآخر لا يقع، وما علم الإله أنه لا يقع كان وقوعه ممتنعا، وما كان ممتنع الوقوع فالعالم بامتناعه لا يريده. فكل واحد لا يريد إلا إيقاع شئ واحد.

الوجه الثاني: أن كل واحد يجب أن يكون حكيما، فيكون عالما بالأصلح وغير الأصلح فيتفقان فى إرادة الأصلح، فيمتنع وقوع المخالفة، سلمنا صحة المخالفة لكنها جائزة غير واقعة فلا يلزم محال.

والجواب: لو كان العلم بالأصح موجبا لإرادته لزم أن يكون الإله موجبا والكلام فى الوحدانية فرع الكلام فى إثبات القادر المختار.

الحجة الثانية: لو فرضنا إلهين كان كل واحد قادر على جميع المقدورات فيفضى إلى وقوع مقدور بين قادرين مستقلين وهو محال: فوجود إلهين محال.

بيان الملازمة أنه إذا كان كل واحد منهما مقدورا للآخر فإذا اتفقا على إيجاد مقدور لا يكون اتخاذه بقدرة أحدهما أولى من الآخر، لأن كل واحد مستقل بالإيجاد ومريد له ولا مرجح لواحد. وإنما قلنا وقوع مقدورى قادرين مستقلين محال لأن الفعل مستغن بكل واحد منهما عن كل واحد منهما فيكون محتاجا إليهما وغنيا عنهما وهو جمع بين النقيضين.

الحجة الثالثة: إذا فرضنا إلهين فإما أن يصح الاختلاف عليهما فيفضى إلى عجز أحدهما أو لا يصح فيفضى إلى عجز أحداهما أيضا، فيكون كل واحد منهما عاجزا عن إظهار مخالفة صاحبه فيعود الأمر إلى كون كل واحد منهما عاجزا والعاجز لا يكون إلها.

وإذا علمت ذلك علمت أن جميع ما فى العالم العلوى والسفلى من المحدثات والمخلوقات دليل على وحدانية الله تعالى فإنه لو أراد أحدهما أن يكون

صيفا، وأراد الآخر أن يكون شتاء، أو أراد أحدهما أن يكون هذا صحيحا، وأراد الآخرين أن يكون مريضا يعود ما تقدم وقلت في أبيات:

سمـــــاء وأرض وشـم الجـــبا ل كذاك البحار له شاهد

وعـجــز جميع الورى عن أقــل أقــل ذبـاب لـــه عـابد

وفـــى كـــــل شـئ لـــه آيـة تدل على أنه واحـــد

الحجة الرابعة: لو فرضنا موجودين واجبى الوجود لذاتهما، لزم أن يكون كل واحد مشاركا للآخر في الوجود ومباينا له في نفسه وما به المشاركة غير ما به المباينة، وكل واحد مركب من الوجود الذى به يشاركه الآخر ومن التباين الذى باين الآخر، وكل مركب محتاج إلى كل جزء من أجزائه وأجزاؤه غيره، أو كل مركب محتاج وكل محتاج ممكن فالقول بأن واجب الوجود أكثر من واحد محال.

الحجة الخامسة: لو فرضنا إلهين كل واحد منهما واجب الوجود لذاته فيمتاز كل واحد بمميز وإلا لم يحصل التعدد فما به التمايز إما أن يكون صفة كمال أم لا، فإن كان صفة كمال فالخالى عنها خال عن صفة كمال فيكون ناقصا والناقص لا يكون إلها، وإن لم يكن صفة كمال فما لايكون صفة كمال فهو صفة نقص، والناقص لا يكون إلها.

الحجة السادسة: ما به الامتياز إما أن يكون معتبرا فى تحقيق إلهيته أولا فإن كان معتبرا كان الخالى عنها ليس بإله وإن لم يكن معتبرا لم يكن الاتصاف به واجبا فيفتقر إلى المخصص والمفتقر محتاج ليس بإله.

الحجة السابعة: لو فرضنا إلهين لا بد أن يتمكن العبد من التمييز بينهما، وهو فى عقولنا بالتباين فى المكان أو الزمان أو الإمكان وذلك على الإله محال.

الحجة الثامنة: لو فرضنا إلهين فأحدهما إما أن يكون كافيا فى تدبير العالم وتخليقه أم لا، فإن كافيا كان الثانى غير محتاج إليه وهو نقص، أولا يكون كافيا فهو ناقص والناقص لا يكون إلها.

الحجة التاسعة: العقل يحكم باحتياج الفعل إلى فاعل وفاعل واحد كاف ونقول فيما زاد على الواحد ليس احتياجه إلى اثنين بأولى من ثلاثة ولا ثلاثة بأولى من أربعة وهلم جرا إلى ما لا نهاية له فالقول بالإلهين محال.

الحجة العاشرة: أحد الإلهين إما أن يقدر على تمييز نفسه وتعيينه أو لا.

الأول: محال لأن دليل إثبات الصانع ليس إلا على حدوث المحدثات وإمكانها وليس فيه مايدل على تعيين.

والثانى: باطل لإفضائه إلى العجز.

الحجة الحادية عشر: أحد الإلهين إما أن يقدر على ستر شئ من أفعاله فيلزم كون المستور عنه جاهلا أو لا يقدر، فليلزم كونه عاجزا.

الحجة الثانية عشر: مجموعة قدرتهما أقوى من قدرة كل واحد فقدرة كل واحد متناهية فهو عاجز.

الحجة الثالثة عشر: العدد ناقص لاحتياجه إلى الواحد وأيضا الواحد الذى يوحد من جنسه ونوعه ناقص لأن مجموع العدد أزيد منه والناقص ليس بإله.

الحجة الرابعة عشر: لو فرضنا إلهين، وفرضنا معدوما ممكن الوجود، فإن لم يقدر أحداهما على إيجاد كانا عاجزين، وإن قدر أحدهما فالعاجز ليس بإله وإن قدرا جميعا، وإن قدر كل واحد على إيجاده مستقلا فإذا أوجده أحدهما، فإما أن يبقى الثانى قادرا عليه وهو محال، لأن إيجاد الموجود محال، وإن لم يبق فيكون الأول قد أزال قدرته وعجزه فهو مقهور فليس بإله.

فإن قيل: فالواحد إذا وجد مقدوره زالت قدرته فيلزم أن يكون هذا الواحد جعل نفسه عاجزا.

قلنا: إذا وجد مقدوره بعدت قدرته، وبعاد القدرة ليس بعجز، وأما الشريك فما نفذت قدرته بل زالت بسبب قدرة الأول فيكون ذلك تعجيزا.

الحجة الخامسة عشر: أنا نقول: لو قدرنا إلهين فإما أن يكون كل واحد قادرا على إيجاد الحركة فى هذا الجسم المعين بدلا عن السكون، وبالعكس أم لا، فان لم يقدر فهو عاجز، وإن قدر فاذا خلق فيه الحركة امتنع على الثانى خلق السكون فيه فهو عاجز فليس بإله.

الحجة السادسة عشر: لو قدرنا إلهين كانا عالمين بجميع المعلومات فعلم كل واحد منهما متعلق بعين معلوم الآخر فوجب تماثل، والقابل لأحد المثلين قابل للآخر واختصاص الذوات بهذا العلم مع جوازه اتصافهما بذلك العلم بدلا عن هذا أمر جائز فيستدعى مخصصا لكل واحد منهما بعلمه وقدرته فكل واحد ناقص مفتقر لإله وهو محال.

الحجة السابعة عشر: أن الشركة فى الملك عيب فى الشاهد والفردانية والتوحيد، والاستقلال بالملك صفة كمال، والملوك يكرهون الشركة فى هذا الملك الحقير، وكلما كانت المملكة أعظم كانت النفرة عن الشركة أشد. فما ظنك بملك الله تعالى وملكوته، فإذا قدر أحدهما على استخلاص الملك لنفسه كان الآخر عاجزا.

الحجة الثامنة عشر: لو قدرنا إلهين -تعالى الله- لكان: إما أن يكون كل واحد محتاجا إلى الآخر، أو مستغنيا، أو أحدهما محتاج، والآخر مستغن، فإن كان الأول كانا محتاجين، وإن كان الثانى كان كل واحد مستغنى عنه فكان ناقصا، ألا ترى أن البلد إذا كان له رئيس والناس يفعلون مصالح تلك البلد من غير مراجعة ولا التفات إلى الرئيس كان فى غاية الذلة والمهانة، والإله الذى يستغنى به لا يستغنى عنه، وإن احتاج أحدهما إلى الآخر من غير عكس كان المحتاج ناقصا والمستغنى هو الإله، وهذه الوجوه منها قطعى، ومنها إقناعى.

أما الدلائل فالأول قوله تعالى:

﴿ وإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾(١) وقوله ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾(٢) وقوله ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾(٣)

الثاني: قوله تعالى ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ ﴾(٤).

والأول: هو الفرد السابق حتى لو قال قائل: أول عبد اشتريته حر فاشترى أولا عبدين لا يعتق أحد منهما، لأن الأول يجب أن يكون فردا ولو اشترى بعد ذلك واحدا لم يعتق أيضا، لأن الأول يجب أن يكون سابقا فلما وصف الله تعالى نفسه بأنه أول لزم أن يكون فردا سابقا فاقتضى أن لا يكون له شريك.

الثالث: قوله تعالى:

﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾(٥).

ولو كان له شريك لعلمها والنص يقتضي أن لا يعلمها سواه.

الرابع: كلمة لا إله إلا الله ذكرت في سبع وثلاثين موضعا.

الخامس: قوله تعالى:

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾(٦).

حكم بأن ما سواه هالك وما جاز عدمه فعند وجوده لا يكون قديما، فما

---

(١) [سورة البقرة: آية ١٦٣]

(٢) [سورة الأخلاص: آية ١]

(٣) [سورة النحل: آية ٥١].

(٤) [سورة الحديد: آية ٣].

(٥) [سورة الأنعام: آية ٥٩].

(٦) [سورة القصص: آية ٨٨].

ثبت قدمه امتنع عدمه، وغير القديم ليس بإله.

السادس: قوله تعالى:

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ ﴾(١).

الذين أثبتوا شريكا مع الله إما علوى، وإما سفلى، والعلوى الكواكب والشمس والقمر، وأبطله الله بدليل الخليل، وهو قوله:

﴿ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴾(٢).

ومن زعم الشريك النور أو الظلمة أبطله الله بقوله:

﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾(٣).

ومن قال يزدان وأهرمن أبطله الله بقوله:

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾(٤) وبقوله ﴿ إِذًا لاَّبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ﴾(٥) وبقوله ﴿ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾(٦).

والشريك السفلى قيل المسيح وأبطله الله بقوله:

---

(١) [سورة الأنعام: آية ١٧].
(٢) [سورة الأنعام: آية ٧٦].
(٣) [سورة الأنعام: آية ١].
(٤) [سورة الأنبياء: آية ٢٢].
(٥) [سورة الاسراء: آية ٤٢].
(٦) [سورة المؤمنون: آية ٩١].
(٧) [سورة النساء: آية ١٧٢].
(٨) [سورة النحل: آية ١٧].

﴿ لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ ﴾(٧) وقيل الوثن، وأبطله الله بقوله ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ ﴾(٨) الآية.

السابع: ذكر الله سبحانه على صحة التوحيد ثلاثة أدلة ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ وقوله ﴿ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ وقوله ﴿ إِذًا لاَّبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ﴾ الآية فسبحان الله رب العرش.

وذلك تنبيه على أن الاشتغال بالتسبيح إنما ينفع بعد إقامة الدليل على كونه منزها وقال: سبحان الله رب العرش عما يصفون، ولم يقل فسبحان الله عما يصفون تنبيه على أنه كيف يجوز للعاقل أن يجعل الجماد الذى لا يحيى ولا يعقل شريكا فى الإلهية لخالق العرش العظيم وموجد السموات والأرض.

(خاتمة) الإيمان مركب من حصول المعرفة فى القلب، وهو الأصل قال تعالى:

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾(١).

ومن الإقرار باللسان والتوحيد قال تعالى:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾(٢).

فإن قل أمر للمكلف بأن يقول بلسانه ما يدل على التوحيد، ويؤكد ذلك قوله ﷺ:

« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله »(٣)

---

(١) [سورة محمد: آية ١٩].

(٢) [سورة الاخلاص: آية ١].

(٣) حديث متواتر رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترميذى والنسائى وابن ماجه عن أبي هريرة.

واشترط النطق باللسان، لأن الإيمان له أحكام تتعلق بالباطن، وهى أحكام الآخرة، وهو متفرع عن العلم الذى هو باطن عن الخلق. وله أحكام تتعلق بالظاهر، وهى أحكام الدنيا، ولا يمكن إقامتها إلا بعد معرفة إسلام المكلف، ولا نعرفه إلا بالقول. فالمعرفة: ركن أصلى فى حق الله تعالى والقول: ركن شرعى فى حق الخلق وإليه الإشارة بقوله:

﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾(١) قال عليه الصلاة والسلام: «من قال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة»(٢).

وقال الدقاق: من قالها مخلصا فى مقالته دخل الجنة فى حالته قال تعالى:

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾(٣).

جنة فى الوقت، وجنة فى العقبى، وهى جنة الآخرة.

فصل

[فى الشهادة عند الموت]

يروى عن محمد الحكيم الترميذى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما من نفس تموت فتشهد أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله يرجع ذلك إلى قلب مؤمن إلا غفر الله له».

قال الشيخ: لأن هذه الشهادة شهد بها عند الموت، وقد ماتت منه

---

(١) [سورة البقرة: آية ٢٢١].

(٢) رواه البزار عن أبى سعيد وصححه السيوطى ـ انظر الجامع الصغير ج٢.

(١) [سورة الرحمن: آية ٤٦].

الشهوات، ولانت نفسه المتمردة وذهب حرصه، وألقى نفسه بين يدى قدرة رب العالمين، واستوى منه الظاهر والباطن، ولقى الله مخلصا بتلك الشهادة فغفر له بتلك الشهادة الصادقة التى وافق ظاهرها باطنها أما الذى يقول وهو صحيح فذلك قول مع التخليط لأنه يشهد هذه الشهادة وقلبه مشحون بالشهوات، ونفسه أشرة بطرة فهذا هو التفاوت بين ذكر الشهادة حالة الصحة، وذكرها فى آخر زمن الحياة انتهى.

وتممه الامام فخر الدين فقال: إن الانسان قلبه مفتون بدنياه مأسور فى يد الشهوات، سكران عن الآخرة، حيران عن الله تعالى، لم يحصل فيه اليقين ألبته لأن قلبه مملوء بالميل إلى غير الله تعالى فلا يحصل فيه الميل إلى الله تعالى، أما إذا حصل فى القلب اليقين بالله تعالى كان الأمر بخلاف ذلك، لأن اليقين سمى يقينا لاستقراره فى القلب، وهو النور يقال تيقن الماء فى الحفرة إذا استقر فيها، فإذا استقر النور دام، وإذا دام صارت النفس صاحبة بصيرة فاطمأن بجلال الله، ثم انقطع عن غير الله فوقف عاجزا، فاستغاث بالله صارخا مضطرا فأجابه الذى يجيب دعوة المضطر إذا دعاه، فيستقر ذلك النور المتلألئ فى القلب، فينتفى به ظلمات الاشغال بغير الله فيصير أمر الملكوت مشاهداله، وهو قول حارثة لرسول الله ﷺ كأنى أنظر إلى عرش ربى بارزا فقال رسول الله ﷺ:

« نور الله الإيمان فى قلبه ».

وقد جاء فى الأخبار أن إدريس عليه السلام وموسى ومحمد صلوات الله عليهم كل واحد منهم فى زمانه مواظب على هذا الدعاء:

« يا نور كل شئ، أنت الذى فلق الظلمات نوره ».

ومما يحقق ذلك قوله عليه الصلاة والسلام:

« من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحى

ويميت وهو على كل شئ قدير، مخلصا بها روحه مصدقا بها قلبه ولسانه فتقت السموات فتقا حتى ينظر الرب إلى قائلها من أهل الدنيا».

وعن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ:

«من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة، قيل: يا رسول الله وما إخلاصها؟ قال: أن تحجزه عن المحارم».

وقال عليه الصلاة والسلام: **«أخلص يكفك القليل».**

وعن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله عهد إلى أن لا يأتينى أحد من أمتى بلا إله إلا الله، لا يلحظ بها شيئا إلا وجبت له الجنة، قالوا: يا رسول الله، وما الذى يلحظ بها؟ قال حرصا على الدنيا وجمعا لها ومنعها، يقول بقول الأنبياء ويعمل عمل الجبابرة».

والحاصل: أنه لابد من اليقين عند التكلم بهذه الكلمة، حتى تكون نافعة، ولا يحصل موت الشهوات إلا بأحد طريقين

أحدهما: أن يروض نفسه، حتى تموت شهواته حال حياته

والثانى أنه إن ماتت شهواته عند وفاته، وعظم رجاؤه وخوفه من ربه، وانقطع نظره بالكلية اضطرارا، فإذا نطق بهذه الكلمة فى تلك الحالة استوجب المغفرة، فلهذا السبب استحب السلف أن يلقنوا المحتضر هذه الكلمة وقال عليه الصلاة والسلام:

«لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»[١].

فالانسان عند القرب من الموتا فنيت شهوته فحصل له نور اليقين، فصارت

---

(١) رواه احمد وأبو داود والترميذى والنسائي وابن ماجه وصححه السيوطى راجع الجامع الصغير ص٢ ج١٢٥.

هذه الكلمة مقبولة منه، وأما الأول وهو الذى يرض نفسه قد فتح الله له رزونة إلى الغيب فركبته أحوال سلطان الجلال، وفنطق بها من القلب الصافى فهو بالمغفرة أولى.

فصل

[أفضل الذكر كلمة لا إله إلا الله]

هذه الكلمة لما كانت أفضل الذكر، فزع إليها الولى والعدو عند المحنة ففرعون لما قرب من الغرق:

﴿قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(١).

أى لا إله يقدر على أن يجعل النار راحة كما فى حق الخليل والماء عذابا كما فى حقه ﴿إِلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾(٢) ويونس عليه السلام قال الله تعالى:

﴿فَنَادَىٰ فِى الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ﴾(٣).

أى فانك أنت الذى تقدر على حفظ الانسان حيا فى بطن الحوت، ولا قدرة لغيرك على ذلك فقبل نداء يونس، ولم يقبل نداء فرعون، لأن يونس عليه السلام سبقت له المعرفة وقال تعالى:

﴿وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾(٤).

---

(١)، (٢) [سورة يونس: آية ٩٠].

(٣) [سورة الأنبياء: آية ٨٧].

(٤) [سورة القلم: آية ٤٨].

وقال تعالى: ﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾(١).

وفى هذا تنبيه على أن من حفظ الله فى الخلوات حفظه فى الفلوات ويونس عليه السلام إنما ذكر هذه الكلمة مع الحضور والشهود والانكسار فقال:

﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ ﴾(٢) وفرعون قالها فى الغيبة فقال ﴿ لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾(٣).

وفرعون سبق له الكفر وما ذكرها عبودية، بل لطلب الخلاص من الغرق لقوله تعالى:

﴿ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾(٤).

والله تعالى أمرك بطاعات كثيرة ويستحيل أن يوافقك فى شئ منها، وأمرك بلا إله إلا الله ووافقك فيها فقال:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾(٥) الآية.

والإشارة بتكرير هذه الكلمة فى الآية الإشارة إلى تكريرها طول عمرك.

ويروى أن يوسف عليه السلام أراد أن يتخذ وزيرا، فجاءه جبريل عليه السلام قال: إن الله يأمرك أن تتخذ فلانا وزيرا لك، فنظر يوسف إليه وكان الرجل فى غاية الدمامة، فسأل جبريل عن السبب فقال: إن له عليك حق الشهادة أنه هو الذى شهد:

---

(١) [سورة الصافات: آية ١٤٣، ١٤٤].

(٢) [سورة الأنبياء: آية ٨٧].

(٣)، (٤) [سورة يونس: آية ٩٠].

(٥) [سورة آل عمران: آية ١٨].

﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ ﴾[١] الآية.

والإشارة فى ذلك أن من شهد لمخلوق وجد وزارته فى الدنيا فمن شهد لله بالتوحيد فى الحال كيف لا يجد رحمته فى العقبى. وفى الحديث.

« إن لله ملائكة يؤمنون عند تأمين الإمام، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه ».

فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة مرة صار مغفورا له، فمن وافقت شهادته وحدانية الله تعالى وشهد لله ألف مرة أولى بأن يصير مغفوزا له.

حكى عن الحجاج أنه أمر بقتل رجل فقال: لا تقتلنى حتى تأخذ بيدى وتمشى معى، فأجابه فقال الرجل: بحرمة صحبتى معك فى هذه الساعة لا تقتلنى، فعفا عنه، وقد وقعت للمؤمن صحبة مع الله تعالى فى شهادة أن لا إله إلا الله فيرجى له المغفرة. وكلمة لا إله إلا الله تصعد إلى الله بنفسها وغيرها من الطاعات يصعد به الملك قال تعالى:

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾[٢].

قال بعضهم: أى العمل الصالح ترفعه الملائكة؟ وجميع الطاعات تزول يوم القيامة، وطاعات التهليل والتحميد لا تزول.

قال تعالى حكاية عن أهل الجنة:

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ﴾[٣] وقالوا ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ

---

(١) [سورة يوسف: آية ٢٧].

(٢) [سورة فاطر: آية ١٠].

(٣) [سورة فاطر: آية ٣٤].

الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾[١] ـ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾[٢].

لا إله إلا هو له الحمد فى الأولى والآخرة.

وروى فى الآثار: أنه من قال:

« لا إله إلا الله فإنه تعالى يعطيه من الثواب بعدد كل كافر وكافرة ».

يثبت لله ضدا أوندا أو شركا فلا جرم يستحق الثواب بعددهم قيل إذا كان آخر الزمان، فليس لشئ من الطاعات فضل كفضل لا إله إلا الله، لأن صلاتهم وصيامهم، يشوبها الرياء والسمعة، وصدقاتهم يشوبها الحرام، ولا إله إلا الله ذكر والمؤمن لا يذكر الله إلا عن صميم قلبه.

فصل
فى فضل لا إله إلا الله

روى عنه ﷺ أنه قال:

« أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله ».

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال:

« ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى الموت ولا عند النشر ».

وكانى أنظر إلى أهل لا إله إلا الله عند الصيحة ينفضون شعورهم من التراب ويقولون:

---

(١) [سورة الزمر: آية ٧٤].

(٢) [سورة يونس: آية ١٠].

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ﴾(١).

ويروى أن المأمون لما انصرف من مرو يريد العراق، واجتاز بنيسابور، وكان على مقدميه على بن موسى الرضى، فقام إليه قوم من المشايخ وقالوا: نسألك بحق قرابتك من رسول الله ﷺ أن تحدثنا بحديث ينفعنا.

فروى عن أبيه عن آبائه عن النبى ﷺ أنه قال:

« لا إله إلا الله حصنى، من دخل حصنى أمن من عذابى ».

وعن ابن عباس عن النبى ﷺ قال:

« يفتح الله أبواب الجنة وينادى مناد من تحت العرش: أيتها الجنة وكل ما فيك من النعيم لمن أنت؟ فتنادى الجنة وما فيها: نحن لأهل لا إله إلا الله ونشتاق إلى أهل لا إله إلا الله، ولا غلبنا إلا أهل لا إله إلا الله، ونحن محرمون على من لم يقل: لا إله إلا الله، ولم يؤمن بلا إله إلا الله، وعند هذا تقول النار وكل ما فيها من العذاب لا يدخلنى إلا من أنكر لا إله إلا الله، ولا أطلب إلا من كذب بلا إله إلا الله وأنا حرام على من قال: لا إله إلا الله، ولا أمتلئ إلا ممن جحد لا إله إلا الله، وليس غيظى إلا على من أنكر لا إله إلا الله قال: فتجئ مغفرة الله ورحمته ويقولان: إنا لأهل لا إله إلا الله، وناصران لمن قال لا إله إلا الله، ومحبان لمن قال: لا إله إلا الله، ومتفضلان على من قال: لا إله إلا الله، ويقول الله: أبحت الجنة لمن قال: لا إله إلا الله، وحرمت النار على من قال: لا إله إلا الله، وأغفر كل ذنب لمن قال: لا إله إلا الله، فلا أحجب رحمة ولا مغفرة عمن قال: لا إله إلا الله، وما خلقت الجنة إلا لأهل لا إله إلا الله، ولا تخالطوا أهل لا إله إلا الله إلا بما يوافق لا إله

---

(١) [سورة فاطر: آية ٣٤].

إلا الله».

وقال عليه الصلاة والسلام: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**»(١).

فصل

ذكر العارفين فى تفسير لا إله إلا الله وجوها

أحدها:

قال ابن عباس: لا إله إلا الله: لا نافع ولا ضار، ولا معز، ولا مذل، ولا معطى، ولا مانع إلا الله.

ثانيها:

لا إله إلا الله من يرجى فضله، ويخاف عذابه، ويؤمن جوره ويؤكل رزقه، وينزل أمره، ويسأل عفوه، ولا يرتكب نهيه، ولا يحرم فضله إلا الله. وأيضا قوله لا إله إلا الله إشارة إلى المعرفة والتوحيد بلسان الحمد والتشهيد إلى الملك المجيد، وإذا قال العبد لا إله إلا الله فمعناه: لا إله إلا له الآلاء والنعماء والقدرة، والبقاء، والعظمة والسناء، والعز والثناء والسخط والرضى إلا الله الذى هو رب العالمين، وخالق الأولين والآخرين، وديان يوم الدين وأيضا لا إله إلا للرغبة، ولا إله للرهبة إلا الله كاشف الكربة.

وقيل كلمة لا إله إلا الله اثنا عشر حرفا فلا جرم وجب به اثنا عشر فريضة، ستة ظاهرة، وستة باطنة. أما الظاهرة: فالطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج. وأما الباطنة: فالتوكل والتفويض والصبر والرضى والزهد والتوبة.

---

(١) سبق تخريجه.

قال بعضهم: الحكمة فى سؤال الملكين، أن الملائكة طعنت فى بنى آدم بقولها:

﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾(١) الآية، فقال تعالى: ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾(٢).

وإذا مات المؤمن بعث الله إلى قبره ملكين يقولان له: من ربك، وما دينك؟ فيقول: ربى الله ودينى الإسلام، فيأمرهم الله تعالى ويقول: اشهدا بما سمعتما، لأن أقل الشهود اثنان ثم يقول الله تعالى لملائكته: انظروا إلى عبدى قد أخذت روحه وماله وزوجته فماله أخذوه وزوجته فى حجر غيره وضيعته فى يد غيره ثم إن الملائكة سألوه فى بطن الأرض فلم يذكر عن شئ إلا عن توحيدى وتنزيهى ليعلموا أنى أعلم ما لا تعلمون وأيضا فى هذا السؤال أن الله تعالى قال فى الابتداء:

﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾(٣).

فشهد الله عليهم فلما جاءوا إلى الدنيا شهدوا بالتوحيد، وشهد عليهم الأنبياء والمؤمنون بذلك. فإذا مات وأدخل القبر سأله الملكان على هذه الشهادة، فيشهد بها فى قبره، فيسمع تلك الشهادة، فإذا جاء يوم القيامة، جاء إبليس وأراد أن يأخذه ويقول: هذا من شيعتى لأنه تبعنى فى المعاصى فيقول الله تعالى: لا سلطان لك عليه لأنى سمعت منه التوحيد فى الابتداء والانتهاء، والرسل سمعوا منه ذلك فى الوسط، والملائكة سمعوا منه ذلك فى الانتهاء، فكيف يكون من شيعتك وكيف يكون لك عليه سلطان اذهبوا به إلى الجنة.

---

(١)،(٢) [سورة البقرة: آية ٣٠].

(٣) [سورة الأعراف: آية ١٧٢].

فصل

فى أسماء لا إله إلا الله

[الاســـم الأول][١]: كلمة التوحيد، لأنها تدل على نفى الشرك على الإطلاق ومعنى الإطلاق أنه تعالى قال:

﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾[٢].

فربما خطر ببال أحد أن يقول: هب أن إلهنا واحداً لكن يمكن أن يكون لغيرنا إله معاند لإلهنا فأزال الله هذا التوهم بقوله.

﴿ أَلاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾[٣].

لأن قولنا لا رجل فى الدار يقتضى نفى الماهية، ومتى انتفت الماهية انتفى جميع أفرادها، إذ لو حصل فرد من أفراد تلك الماهية تحصلت تلك الماهية لأن كل فرد من أفراد الماهية مشتمل على تلك الماهية، وإذا وجدت الماهية فذلك يناقض نفى الماهية، فيثبت أن قولنا لا رجل فى الدار يقبل النفى العام الشامل وإذا قيل بعد ذلك إلا زيد أفاد التوحيد الكامل.

ولهذه الكلمة ثمرتان:

الأولى: أن جوهر الإنسان خلق فى الأصل مشرفا مكرما قال الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾[٤].

وإذا كان الأصل فيه مكرما كان كونه مطهرا على وفق الأصل وكونه

---

(١) كلمة الاسم ليست في الأصل.

(٢)، (٣) [سورة البقرة: آية ١٦٣].

(٤) [سورة الإسراء: آية ٧٠].

متنجسا على خلاف الأصل، ثم إنا إذا رأينا الإنسان متى أشرك صار نجس لقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾(١).

فالنجاسة على خلاف الأصل، وكونه موحدا يقتضى الطهارة أولا، لأنه على وفق الأصل فالموحد من خواص الله لقوله تعالى:

﴿ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾(٢).

الثمرة الثانية: أن الشرك سبب لخراب العالم، فالتوحيد سبب لعمارة العالم لأن الضدين مختلفان فى الحكم، وإذا كانت كلمة التوحيد سبب عمارة العالم فأولى أن تكون سببا لعمارة القلب الذى هو محل الوحدانية ولعمارة اللسان الذى هو محل ذكر الوحدانية، وذلك يناسب عفو الله عن أهل التوحيد.

الاسم الثانى: كلمة الإخلاص سميت بذلك لأن الأصل فيها عمل القلب، وهو كون الإنسان عارفا بقلبه وحدانية الله تعالى وهذه المعرفة الحاصلة فى القلب يستحيل أن يأتى بها الإنسان لغرض آخر سوى طاعة الله وحبه وعبوديته فهذه المعرفة طلبت لوجه الله لا لغرض ألبته بخلاف سائر الطاعات البدنية فإنها كما يؤتى بها لتعظيم الله تعالى، فقد يؤتى بها لسائر الأغراض العاجلة من الرياء والمدح والثناء فلذلك سميت كلمة الإخلاص.

الإسم الثالث: كلمة الإحسان، قال تعالى:

﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴾(٣) أى هل جزاء الإيمان.

واعلم ياهذا أن عليك عهد العبودية، وعلى كرمه عهد الربوبية كما قال ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾(٤).

---

(١) [سورة التوبة: آية ٢٨].
(٢) [سورة النور: آية ٢٦].
(٣) [سورة الرحمن: آية ٦٠].
(٤) [سورة البقرة: آية ٤٠].

وعهد عبوديتك، أن تكون عبدا له لا لغيره وأن تعرف أن كل ما سوى الله هو عبد لله كما قال تعالى:

﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً ﴾(١).

وقوله: لا إله إلا الله، يدل على اعترافه بأن كل ما سواه هو عبد فثبت أن قول لا إله إلا الله إحسان من العبد فقوله:

﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴾(٢).

أى هل جزاء من أتى بقول: لا إله إلا الله إلا أن أجعله فى حماية لا إله إلا الله وقال تعالى:

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾(٣).

والمراد من قوله (أحسنوا) هو قول: لا إله إلا الله باتفاق أئمة التفسير لأنه لو قال ذلك ومات دخل الجنة، وقال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾(٤).

اتفقوا أنها نزلت فى فضيلة الأذان لا شتماله على لا إله إلا الله وقال تعالى:

﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾(٥).

وأحسن القول: لا إله إلا الله، وقال تعالى:

---

(١) [سورة مريم: آية ٩٣].

(٢) [سورة الرحمن: آية ٦٠].

(٣) [سورة يونس: آية ٢٦].

(٤) [سورة فصلت: آية ٣٣].

(٥) [سورة الزمر: آية ١٨].

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾(١).

قيل العدل: الإعتراض عما سوى الله، والإحسان: الإقبال على الله. وقال تعالى:

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ ﴾(٢).

الإحسان قول: لا إله إلا الله.

وروى عن أبى موسى الأشعرى أنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«للذين أحسنوا الحسنى، أى الذين قالوا لا إله إلا الله».

الحسنى: هى الجنة، والزيادة: النظر إلى وجهه الكريم.

وكلما كان الفعل أشد حسنا كان فاعله أشد إحسانا، وأحسن الأذكار: لا إله إلا الله، وأحسن المعارف: معرفة لا إله إلا الله فتكون هذه المعرفة وهذا الذكر إحسانا.

الإسم الرابع: دعوة الحق: قال تعالى فى سورة الرعد:

﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ﴾(٣).

وهو يفيد الحصر أى له هذه الدعوة لا لغيره كقوله تعالى:

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾(٤).

أى لكم دينكم لا لغيركم وجه إفادته الحصر أن الحق نقيض الباطل، والحق

---

(١) [سورة النحل: آية ٩٠].

(٢) [سورة الإسراء: آية ٧].

(٣) [سورة الرعد: آية ١٤].

(٤) [سورة الكافرون: آية ٦].

هو الموجود، والباطل هو المعدوم، ولما كان الحق سبحانه حقا فى ذاته لذاته، ولصفاته وكان ممتنع التغير فى حقيقته كانت معرفته هى المعرفة الحقيقية وذكره هو الذكر الحق والدعوة إليه هى الدعوة الحقة وأما ما سواه فهو ممكن لذاته، فلا تكون معرفته واجبة التحقق ولا ذكره ولا الدعوة إليه، ودعوة الحق تارة تكون من الحق للحق إلى الحق، وتارة تكون من الخلق للخلق إلى الخلق.

أما أن دعوة الحق تكون من الحق، فلأنه هو الذى دعا القلوب إلى حضرته فلولا دعوته إلى تلك الحضرة، وتوفيقه فى ذلك الوصول، وإلا فمن أين يمكن العقل البشرى الوصول إلى جلال حضرة الله تعالى، وأيضا فمبادى الحركات وأوائل المحدثات تنتهى إلى قدرة الله تعالى وقضائه، قال الله تعالى:

﴿ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾(١).

وأما أن تلك دعوة الحق فقال الله تعالى:

﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾(٢).

وأما الانتهاء إلى الحق فقال تعالى:

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾(٣).

وأما أن دعوة الحق تارة تكون من الخلق فقال:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾(٤) وقال تعالى

---

(١) [سورة الروم: آية ٤].

(٢) [سورة غافر: آية ١٦].

(٣) [سورة النجم: آية ٤٢].

(٤) [سورة فصلت: آية ٣٣].

﴿إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ﴾(١).

الإسم الخامس: كلمة العدل قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾(٢).

وفى الحديث: «**إن جبريل عليه السلام قال يا محمد: إن الله يأمرك بالعدل والإحسان**».

وقال ابن عباس: العدل: شهادة أن لا إله إلا الله. والاحسان: القيام بالعبودية وقيل العدل: شهادة أن لا إله إلا الله. والإحسان: الإخلاص فيه وقيل: العدل مع الناس، والإحسان: مع نفسك بالطاعة قال تعالى:

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ﴾(٣).

وقيل: يأمر بالعدل مع الأعضاء وبالإحسان مع القلب بأن يربيه بعدل التوحيد وشراب المحبة. وقيل: بالعدل: رؤية الافتقار إلى الحق. والاحسان مشاهدة إحسان الخلق على كل شئ فى الخلق.

وسبب تسمية هذه الكلمة بكلمة العدل وجوه:

الأول: أن العدل فى كل شئ تحصيل سبب اعتداله، وكمال حاله وكمال حال القوى الحساسة فى إدراك المحسوسات، وكمال حال القوى النفسانية فى طلب الأشياء الجسمانية، وكمال حال القوة العصبية فى دفع الأشياء المنافية للجسمانية، وأما القوة العقلية، فكمال حالتها وغاية سعادتها أن ترسم فيها صور

---

(١) [سورة آل عمران: آية ١٩٣].

(٢) [سورة النحل: آية ٩٠].

(٣) [سورة الإسراء: آية ٧].

الحقائق وأشباه المعقولات كما هى، حتى تصير القوة العقلية كالمرآة التى تجلت فيها صور الوجوه بتمامها، وأشرف المعقولات وأعلاها معرفة: جلال الله وقدسه وعظمته وعزته فكان غاية العدل والاعتدال للارواح البشرية والقوى العقلة، وكونها مقبلة على هذه الحال مستغرقة فيها.

السبب الثانى: أن معرفة الله متوسطة بين الإفراط الذى هو التشبيه والتفريط الذى هو التعطيل، فمن بالغ فى الإثبات وقع فى التشبيه، ومن بالغ فى النفى وقع فى التعطيل، فالحق الاعتدال بين الطرفين.

السبب الثالث: من ترك النظر والاستدلال فى معرفة الله تعالى، وعدل إلى ما ألفه من الحس والخيال وقع فى الضلال، وأما من توغل فى البحث وأراد الوصول إلى كنه العظمة تحير وتردد بل عمى. فان نور جلال الإلهية يعمى أحداق العقول البشرية فصار هذان الطرفين.

فأولا البحث فى الإعتدال وترك التعمق فعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال:

«تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق».

فأمر تعالى بالعدل فى التوحيد وقال:

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾(١).

أظهر العجز عن الضعيف وأقدر على الشريف ليعلم أن الكل منه.

الأسم السادس: الطيب من القول قال تعالى:

﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾(٢).

---

(١) [سورة النساء: آية ١٢٩].

(٢) [سورة الحج: آية ٢٤].

أى لا إله إلا الله، والألف واللام للاستغراق كأنه قال لا لذيذولا أطيب إلا هذا، لأن طيب غيره بالنسبة إلى طيبه كلا طيب، وأى كلمة أطيب وأطهر من كلمة التوحيد، والكفر سبب للنجاسة سبعين سنة، وتزول النجاسة بذكر هذه الكلمة مرة واحدة، وذلك أن الطيب هو اللذيذ واللذيذ، إدراك الملائم، والملائم للقوى الحساسة المحسوسات، والملائم للقوة العقلية إدراك جلال الله تعالى وقدسه، وإدراك القوة الحساسة.

أما مدرك القوى الحاسة فهى الأعراض القائمة بالأجسام الكائنة الفاسدة، ومدرك القوة العاقلة هو ذات الله تعالى وعظمته. وكلما كان الإدراك أقوى والمدرك أشرف، كانت اللذة الحاصلة بسبب ذلك الإدراك أشرف وأعلى، فعلى هذا نسبة اللذه العقلية للحسية فى الشرف والقوة كنسبة الإدراك العقل إلى الإدراك الحسى كنسبة ذات الله تعالى فى صفاته فى الشرف والتعالى عن الأعراض القائمة والأجسام.

وكما أنه لا نهاية للنسبة الحاصلة بين اللذات العقلية الحاصلة من إدراك جلال الله ومن اللذات الحاصلة بسبب إدراك الطعوم والروائح وسائر الحواس، فتبين أن الطيب المطلق: معرفة لا إله إلا الله وذكر لا إله إلا الله والاستغراق فى نور جلال لا إله إلا الله.

الإسم السابع: الكلمة الطيبة، قال الله تعالى:

﴿ومَثَل كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾(١).

سميت بذلك: لأنها طاهرة عن التشبيه، والتعطيل، لكنها طريقة متوسطة بينهما مباينة لكل واحد منهما كما أن اللبن خارج من بين فرث ودم، وهو مبرأ

---

(١) [سورة إبراهيم: آية ٢٤].

عن كل واحد منهما. وقال المفسرون: الشجرة الطيبة: النخلة، وشبهت بكلمة التوحيد، لأنها تنبت في بعض البلاد، دون بعض. وكلمة التوحيد تجرى على لسان بعض الناس دون بعض. ومعرفة التوحيد تحصل في قلب دون قلب، ولأن النخلة أطول الأشجار وكلمة التوحيد أعلا الكلمات، ولأن النخلة ثابتة في الأرض وفروعها في السماء، والكلمة الطيبة أصلها ثابت في القلب، وهو المعرفة وفرعها ثابت في السماء.

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾(١).

الاسم الثامن: الكلمة الثابتة. قال تعالى:

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾(٢).

سميت بذلك، لأن المذكور والمعلوم ثابت واجب الثبوت لذاته ممتنع العدم لذاته فالقول كذلك.

الاسم التاسع: كلمة التقوى قال الله تعالى:

﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ﴾(٣).

وسميت بذلك، لأن قائلها اتقى الكفر، ولأنها واقية لبدنك من السيف ولمالك من أن يغنم ولأولادك عن الأسر، فإن انضاف إلى القلب اللسان صارت واقية لقلبك من الكفر، وإن وفقت صارت واقية لجوارحك من المعاصى.

الاسم العاشر: الكلمة الباقية، قال كثير من المفسرين في قوله تعالى:

---

(١) [سورة فاطر: آية ١٠].

(٢) [سورة إبراهيم: آية ٢٧].

(٣) [سورة الفتح: آية ٢٦].

﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾(١).

إنها قول لا إله إلا الله لقوله قبل ذلك:

﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾(٢).

ومعنى ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾: نفى الإلهية عن الأشياء التى كانوا يعبدونها ثم قال:

﴿ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾.

فكان فيه إثبات الإلهية للذى فطره ومجموع ذلك: لا إله إلا الله.

الاسم الحادى عشر: الاستقامة قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾(٣).

هو قول: لا إله إلا الله، وقولهم (ربنا الله) إقرار بوجود الرب تعالى، ثم من المفترين من أثبت له ندا وشريكا، تعالى الله، ومنهم من نفى ذلك وهم الذين استقاموا على الصراط المستقيم، والاستقامة فى القيامة بقدر الاستقامة فى نفى الشركاء.

الاسم الثانى عشر: كلمة الله العليا. قال تعالى:

﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ﴾(٤).

وذلك أن القلب تجلى فيه نور هذه الكلمة استعقب حصول القوة بالله.

---

(١) [سورة الزخرف: آية ٢٨].

(٢) [سورة الزخرف: آية ٢٦، ٢٧].

(٣) [سورة فصلت: آية ٣٠].

(٤) [سورة التوبة: آية ٤٠].

ولهذا صار العارفون المستغرقون فى نور جلال الله يستحقرون الأحوال الدنيوية وعظماء الملوك ولا يبالون بالقتل ولا يقيمون لطيبات الدنيا وزينتها وزنا ألبتة.

ألا ترى إلى سحرة فرعون لما تجلى لهم نور هذه الكلمة كيف لم يلتفتوا إلى قطع الأيدى والأرجل، وإلى سيدنا محمد ﷺ لما استغرق فى هذا النور لم يلتفت إلى الملكوت كما قال تعالى:

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾(١).

وهى مستعلية فى الدنيا على سائر الأديان قال تعالى:

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾(٢).

ومستعلية على جميع الذنوب، فإنها مزيلة جميع الذنوب ولا يزيلها ذنب.

الاسم الثالث عشر: المثل الأعلى: قال قتادة فى قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾(٣).

معناه: قول لا إله إلا الله، ومعنى المثل هنا الصفة كذا قال أهل اللغة ونظيره قوله تعالى:

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾(٤).

الاسم الرابع عشر: العهد قال ابن عباس فى قوله تعالى:

---

(١) [سورة النجم: آية ١٧].

(٢) [سورة الصف: آية ٩].

(٣) [سورة النحل: آية ٦٠].

(٤) [سورة محمد: آية ١٥].

﴿ لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾(١).

العهد: قول لا إله إلا الله.

الإسم الخامس عشر: مقاليد السموات والأرض. قال ابن عباس: قول: لا إله إلا الله، لأن الشرك سبب لفساد العالم قال الله تعالى:

﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾(٢).

وإذا كان كذلك، كان التوحيد عمارة العالم، لا تفتح أبواب السماء عند الدعاد إلا بقول: لا إله إلا الله، وأبواب الجنان لا تفتح إلا بهذا القول، وأبواب النيران لا تغلق إلا بهذا القول، وأبواب القلب لا تفتح إلا بهذه الكلمة، وأنواع الوساوس لا تندفع إلا بهذا القول، فهى أشرف مقاليد السموات والأرض وأعز مفاتيح الأرواح والنفوس والأجسام والعقول.

الاسم السادس عشر: كلمة الحق لقوله تعالى:

﴿ وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(٣).

أى قول: لا إله إلا الله.

الاسم السابع عشر: العروة الوثقى، قال تعالى:

﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ

---

(١) [سورة مريم: آية ٨٧].

(٢) [سورة مريم: آية ٩٠، ٩١].

(٣) [سورة الزخرف: آية ٨٦].

الْوُثْقَى﴾(١).

يعنى قول: لا إله إلا الله.

الاسم الثامن عشر: كلمة الصدق لقوله تعالى:

﴿وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾(٢).

الاسم التاسع عشر: كلمة السواء، قال الله تعالى:

﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾(٣).

قال أبو العالية: هى كلمة لا إله إلا الله.

فصل

[الـلـه]

الإلـه: اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بالحق وأما الله فقيل: مشتق.

وأختلفوا فيه على أقوال، قيل: مأخوذ من إله الرجل إذا فزع إليه غيره من أمر نزل فإلهه إذا أجاره، وسمى إلها كما سمى من أم بالناس إماما، وقيل: مأخوذ من وله ويوله وأخله ولاه فأبدلت الواو همزة كما قالوا فى وشاح إشاح، والوله هو المحبة الشديدة، وكان يجب أن يقال مألوه كما يقال معبود إلا أنهم نقلوه كما قالوا فى مكتوب كتاب ومحسوب حساب. وقيل: مأخوذ من لاه يلوه إذا احتجب أى حجب العقول عن حقيقته.

---

(١) [سورة البقرة: آية ٢٥٦].

(٢) [سورة الزمر: آية ٣٣].

(٣) [سورة آل عمران: آية ٦٤].

وقيل: من لاه يلوه إذا أرتفع يقال: لاهت الشمس إذا ارتفعت، وقيل من قولهم: ألهت بالمكان إذا أقمت به وذلك إشارة إلى دوام وجوده قال الشاعر:

ألهنا بدار ما تبين رسومها كأن بقاياها وسام على اليد

وقيل من أله يأله إذا تحير وذلك إشارة إلى تحير العقول فى فهم كنه حقيقته وقيل: من التأله وهو التعبد، يقال أله يأله إلهة أى عبد يعبد عبادة قرأ ابن عباس: ﴿ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾(١).

أى عبادتك، قال التلمسانى: هو أقرب لقوله تعالى:

﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾(٢).

ومعنى لا إله إلا الله: لا معبود إلا الله، وقيل: الله ليس بمشتق، وإنما أجرى مجرى الأعلام، إنما قلنا أجرى مجرى الأعلام لأنه يوصف بسائر الأسماء ولا يوصف به وذلك خاصية الأعلام، وإنما لم نقل علما لعدم الإذن الشرعى وهو اسم للموجود الحق الجامع لصفات الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية المنفرد بالوجود الحقيقي، وكل موجود سواه استفاد الوجود منه، وهذا الاسم الأعظم من التسعة والتسعين اسما لأنه دال على الذات الجامعة لجميع صفات الألهية وسائر الأسماء لا تدل على آحاد المعنى من علم ونحوه ولم يرد عن العرب قبل النبى ﷺ ولا بعده أنه استعمل لفظ هذا الاسم على صيغته فضلا عن وضعه صفة لغيره. وقد وردت الآثار أنهم كانوا يكتبون فى صحفهم فى الجاهيلة باسمك اللهم قال تعالى:

---

(١) [سورة الأعراف: آية ١٢٧].

(٢) [سورة الزخرف: آية ٤٥].

﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾(١).

ولهذا قال الجنيد رحمه الله: ما عرف الله إلا الله وأعطى لخلقه الأسماء فحجبهم بها فقال:

﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾(٢).

فو الله ما عرف الله إلا الله فى النشأتين والدارين واليومين وقبض الله تعالى بسط العقول والأرواح والقلوب فى ميدان هذا الاسم، كما بسطهم فى ميدان الأسماء، ولذلك لم يقع التجاسر ولا سنح للأفكار والتسمية به مع وجود الجاحدين والفراعنة الطاغين وشدة كفرهم ولذلك كان كل اسم من أسمائه يصلح للتخلق إلا هذا الاسم فإنه للتعلق.

فينبغى أن يكون حظ العبد من هذا الاسم التأله، وأعنى به أن يكون مستغرق القلب والهمة بالله تعالى، لا يرى غيره ولا يلتفت إلى سواه ولا يرجو ولا يخاف إلا إياه، ولا يصح التعلق بهذا الاسم إلا بعد التخلق بمجموع الأسماء أقوالا وأفعالا وأحوالا وظاهرا وباطنا.

ومن أراد التقرب بهذا الاسم فعليه بسبعة أصول: استحقار ما سوى الله حالا، والتعظيم لأوامر الله كشفا، وسقوط الأكوان شهودا، والفناء فى الجمع استغراقا، وتعلق الهمة بالله دأبا، ومراقبة الأنفاس سرا، وذكر الاسم الأعظم ظاهرا وباطنا إلى أن يتأله فى الوله يعنى يسترق سره فى وجوده فى حقيقتة شهوده لا يرى غيره ولا يحس من سواه فيحرس الله عليه أحواله ويحفظ من الأغيار أسراره.

وعن الشلبى: ما قال أحد على الحقيقة الله إلا الله ومن قاله إنما قاله لحظه.

---

(١) [سورة مريم: آية ٦٥].

(٢) [سورة الحاقة: آية ٥٢].

قال أبو سعيد الخزار: من جاوز حد نسيان نفسه وقع فى نسيان حظه من الله ونسيان حاجته إلى الله، فلو تكلمت جوارحه لقالت ألله ألله فهؤلاء الذين و لهت أسرارهم بالله، وانمحت آثارهم طمسا فى عين التوحيد، فاستخدم الله لهم الأكوان، وسخر لهم الأسرار. فمن اتخذ الحلوة بهذا الذكر إلى أن يتوله به فى الاستغراق:

وحقيقة التوله: أن يستغرق ولا يحس أذاكر أم صامت أو موجود أو معدوم إلى أن يغلب عليه، فيسمع كل عضو منه يقول ألله ألله بلسان يسمعه، فلو سقط دمه لكتب ألله ألله وهكذا.

واعلم أن فى كل ذ رة فما دونها من ذرات العالم سرا من أسرار اسمه الله فبذلك السر فهم عنه و أقر له بالتوحيد كل عالم على نوعه الذى هو قائم به علم أم لم يعلم كما قال تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾(١).

فالألف الأولى: دلالة الذات، واللام الأولى: دلالة صفات الذات، واللام الثانية: دلالة أسماء الأفعال، و اللام الثالثة: دلالة أسماء المعانى القائمة بأسماء الصفات والهاء دلالة أسماء الإشارة لبواطن الأسماء.

فصل

[فضل شهادة لا إله إلا الله]

يحكى أن رجلا كان واقفا بعرفات وكان فى يده سبعة أحجار فقال: يا أيتها الأحجار السبعة اشهدوا لى أنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً

(١) [سورة الرعد: آية ١٥].

رسول الله، فنام فرأى فى المنام كأن القيامة قد قامت وحوسب ذلك الرجل فوجب له النار، فلما ساقوا به إلى باب من أبواب جهنم جاء حجر من تلك الأحجار السبعة وألقى نفسه على ذلك الباب واجتمعت ملائكة العذاب على رفعه فلم يقدروا، ثم سيق إلى الباب الثانى فكان الأمر كما فى الأول وهكذا الأبواب السبعة فسيق به إلى العرش فقال الله سبحانه: عبدى أشهدت الأحجار فلم تضيع حقك وأنا شاهد على شهادتك على توحيدى ادخل الجنة، فلما قرب من أبواب الجنة فإذا أبوابها مغلقة، فجاءت شهادة أن لا إله إلا الله وفتحت الأبواب ودخل الرجل.

وذكر أنه زاد الماء فى بغداد حتى أشرقت على الغرق، فقال بعض الصالحين:

رأيت فى تلك الليالى كأنى واقف على طرف الدجلة وأقول: لا حول ولا قوة إلا بالله غرقت بغداد، فجاء إنسان حسن الوجه وكنت أعلم أنه ملك وجاء ملك آخر من ناحية أخرى، فقال أحدهما للآخر ما الذى أمرت به؟ قال: أمرت بتغريق بغداد ثم نهيت عنها، فقال ولم قال رفعت ملائكة الليل أن البارحة افتض ببغداد سبعمائة فرج حرام فغضب الله وأمرنى بتغريقها ثم رفعت ملائكة النهار فى صبح هذا اليوم تسعمائة أذان وإقامة فغفر الله لهؤلاء بهؤلاء وقال صاحب الرؤيا فانتبهت وجئت إلى دجلة فإذا الماء قد نقص.

وقال بعضهم: لا إله إلا الله محمداً رسول الله أربعة وعشرون حرفا وساعات الليل والنهار كذلك فكأنه قيل كل ذنب أذنبته من الصغيرة والكبيرة والسر والعلانية والخطأ والعمد والقول والفعل فى هذه الساعات فهى مغفورة بهذه الحروف والكلمات، وأيضا قول: لا إله إلا الله محمد رسول الله سبع كلمات وللعبد سبعة أعضاء وللنار سبعة أبواب فكل كلمة من هذه الكلمات السبع تغلق بابا من الأبواب السبعة عن عضو من الأعضاء السبعة.

وقيل: إن كلمة لا إله إلا الله اثنا عشر حرفا فلا جرم وجب به اثنا عشر فريضة، ستة ظاهرة، وستة باطنة، أما الظاهرة: فالطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد. أما الباطنة: فالتوكل والتفويض والصبر والرضا والزهد والتوبة. وأما هو فهو مركب من حرفين هما حقيقة النفسين االداخل والخارج نطقت بها أم لم تنطق بالنفس الداخل الهاء والخارج الواو وهو البسط فالهاء داخل بنفس الحياة والواو خارج باحتراق الحرارات الباطنة فإن الله تعالى جعل الباطن محل الحرارات منها حرارة الشوق إلى الله تعالى، ومنها حرارة الطلب، ومنها حرارة الذكر، ومنها حرارة الفكر ومنها حرارة الطبع. فلا يزال القبض والبسط إلى أن يقضى أجل العبد فيحول الله بين الهاء والواو بحائل خفى عن أوهام العقل بل بما قدره الله تعالى فى سابق علمه القديم الأزلى، فالموجودات كلها موحدة لله تعالى على لطيف الأنفاس مقهورون بقدرته، ولولا ذلك لغشيهم العذاب ورحم الله الباطن، ورحم من استيلاء الحرارات عليه بنفس الإسم الباطن وهو هو. فإذا قال العارف: هو اجتمعت تلك الحرارات المحرقة وخرجت بنفس النفس إلى روح الهواء فيرجع النفس ببرد الهواء، وهو هو إلا أنه فى الظاهر برد وفى الباطن حر، لأنه هواء، فسر الألف الزائدة فيه عن هو تزايد حياة لأنه جمع بين باطن هو، وظاهر الألف فى التوحيد.

وأما ذكر التنزيه وهو: سبحان الله وبحمده: التسبيح معناه: التنزيه وقولهم سبحان منصوب على المصدر تقول: سبحت الله تسبيحا وسبحانا فسبحان الله معناه براءة وتنزيها له من كل نقص وصفة لمحدث وقوله: وبحمده أى وبحمدك سبحتك ومعناه بتوفيقك لى وهدايتك وفضلك على سبحت لا بحولى وقوتى ففيه شكر الله تعالى على هذه النعمة والاعتراف بها والتفويض إلى الله تعالى فإن كل الأفعال له تعالى.

خاتمة الكتاب

وهى فيما ورد من الأذكار

فى أحوال وأوقات فى الليل والنهار

* كان ﷺ إذا حزبه أمر قال :

« **يا حى يا قيوم ، برحمتك أستغيث** »(١) .

* كان إذا همه أمر نظر إلى السماء وقال :

« **سبحان الله العظيم** »(٢) وقال « **من أصابه هم أو حزن فليدع بهذه الكلمات يقول : أنا عبدك ابن عبدك ابن أمتك ، فى قبضتك ، ناصيتى بيدك ، ماض فى حكمك ، عدل فى قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن نور صدرى ، وربيع قلبى ، وجلاء حزنى ، وذهاب همى ؛ فقال رجل من القوم : يا رسول الله ، إن المغبون لمن غبن هؤلاء الكلمات ، قال أجل ، فقولوهن وعلموهن ، فإنه من قالهن التماس ما فيهن أذهب الله حزنه ، وأطال فرحه** »(٣) .

* عن على رضى الله عنه لقننى رسول الله ﷺ هؤلاء الكلمات وأمرنى إن نزل بى كرب أوشدة أن قولها :

« **لا إله إلا الله الكريم العظيم ، سبحانه تبارك الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين** »(٤) .

---

(١) رواه الترمذى فى سننه ج ٩ ص ٢٥١ وفى تحفة الأحوذى ج٩ص٢٥١ .

(٢) رواه الترمذى فى سننه ج ٩ ص ٣١٩ .

(٣) رواه احمد فى المسند ج ١ ص ٦٤٦، ج٢ ص٣٢ .

(٤) فتح البارى ج١٢ ص ٤٣٢

* وكان عبد الله بن جعفر يلقنها وينفث بها على الموعوك ويعلمها المعتزبة من بنأته:

* قال «**كلمات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين، وأصلح لى شأنى كله، لا إله إلا أنت**»(١).

* «**إنى لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج الله عنه، كلمة أخي يونس عليه السلام: ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾**(٢)».

* «**من قرأ آية الكرسى وخواتم سورة البقرة عند كرب أغاثه الله**».

* «**إذا خفت سلطانا أو غيره فقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم، لا إله إلا أنت عز جارك وجل ثناؤك**».

* كتب عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف أن انظر إلى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ فادن مجلسه وأحسن جائزته وأكرمه.

قال فأتيته فقال لى ذات يوم: يا أبا حمزة إنى أريد أن أعرض عليك خيلا فتعلمنى أين هى من الخيل التى كانت مع رسول الله ﷺ فعرضها، فقلت شتان ما بينهما تلك كانت أرواؤها وأبوالها وأعلافها أجرا، فقال الحجاج لولا كتاب أمير المؤمنين فيك لضربت الذى فيه عيناك فقلت ما تقدر على ذلك، قال:

ولم؟ قلت رسول الله ﷺ علمنى دعاء أقوله لا أخاف معه من شيطان ولا سلطان ولا سبع، قال: يا أبا حمزة علم ابن أخيك محمد بن الحجاج، فأبيت عليه

---

(١) فتح البارى ج١٢ ص٤٣٢ وسنن أبى داود ج١٣ ص٤٣٣.

(٢) سورة الأنبياء: آية ٨٧.

فقال لابنه: أئت عمك أنسا فاسأله أن يعلمك ذلك، قال أبان فلما حضرته الوفاة دعانى فقال: يا أحمر إن لك إلىَّ انقطاعا وقد وجبت حرمتك وإنى معلمك الدعاء الذى علمنى رسول الله ﷺ فلا تعلمه من لا يخاف الله عز وجل أو نحو ذلك قال تقول:

«الله أكبر الله أكبر الله أكبر، بسم الله على نفسى ودينى بسم الله على كل شئ أعطانى ربى، بسم الله خير الأسماء، بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء داء، بسم الله افتتحت وعلى الله توكلت، الله الله ربى لا أشرك به أبداً. أسألك اللهم بخيرك من خيرك الذى لا يعطيه أحدٌ غيرك، عز جارك وجل ثناؤك، ولا إله غيرك، اجعلنى فى عياذك من كل شر ومن الشيطان الرجيم، اللهم إنى أحترس بك من شر جميع كل ذى شر خلقته، وأحترزُ بك منهم وأقدم بين يدى: بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. ومن خلفى مثل ذلك، وعن يمينى مثل ذلك، عن يسارى مثل ذلك، ومن فوقى مثل ذلك».

* عن على رضى الله عنه قال:

«إذا كنت بوادٍ تخاف فيه السباع فقل: أعوذ بدانيال وبالجب من شر الأسد»(١).

* بينما النبى ﷺ يمشى هو وأصحابه إذ انقطع شسعه فقال:

«إنا لله وإنا إليه راجعون: قالوا أو مصيبة هذه؟ قال نعم، كل شئ ساء المؤمن فهو مصيبة».

---

(١) لم نقف عليه فيما لدينا من مراجع. ومتنه غير صحيح ويخالف المتفق عليه من الكتاب والسنة والاستعاذة لا تكون إلا بالله، والاستعانة لا تكون إلا به سبحانه وتعالى، وهذا الكلام لا يصح إسناده إلى الإمام على كرم الله وجهه وهو أبعد ما يكون عن مثل هذه الأقوال.

* «يسأل أحدكم حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع».

عن عائشة رضى الله عنها قالت:

* «سلوا الله كل شئ حتى الشسع، فإن الله إن لم ييسره لم يتيسر»(١).

* «ما أنعم الله على عبد نعمة فقال: الحمد لله رب العالمين، إلا كان ما أعطى خيراً مما أخذ»(٢).

عن الزبير بن العوام قال: سمعت رسول الله ﷺ حين قرأ هذه الآية:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٣).

* قال النبى ﷺ: «أنا أشهد أى رب».

«ما أنعم الله على عبد نعمة فى أهل ومال وولد فيقول: ماشاء الله، لا قوة إلا بالله، فيرى فيه آفة دون الموت»(٤).

---

(١) أخرجه أبو يعلى فى مسنده عن عائشة وضعفه السيوطى فى الجامع الصغير جـ٢ ص ٣٤.

(٢) رواه ابن ماجة عن أنس وضعفه السيوطى فى الجامع الصغير جـ٢ ص ١٤٣.

(٣) [سورة آل عمران: ١٨].

(٤) رواه أبو يعلى فى مسنده والنسائى فى السنن وضعفه السيوطى فى الصغير جـ٢ ص ١٤٣.

فصل

[الإكثار من الاستغفار]

ما من عبد يذنب ذنبًا فيتوضأ ويصلى ركعتين ويستغفر الله لذلك الذنب إلا غفر له وتلا هذه الآية:

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ﴾(١).

* «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب»(٢).

* «ما أصر من استغفر ولو عاد فى اليوم سبعين مرة»(٣).

* «إنى لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم مائة مرة».

* «من استغفر الله كل يوم سبعين مرة لم يكتب من الغافلين»(٤).

* «يقول ربنا عز وجل حين يبقى ثلث الليل الأخير: من يدعونى فأستجيب له، من يستغفرنى فأغفر له، حتى يطلع الفجر».

* «يا رسول الله كيف أستغفر؟ قال: قل اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم»(٥).

---

(١) [سورة النساء: آية ١١٠].

(٢) رواه أحمد فى المسند والحاكم فى المستدك وصححه السيوطى فى الصغير جـ٢ ص ١٦٦.

(٣) رواه أبو داود والترمذى عن أبى بكر وضعفه السيوطى فى الصغير جـ٢ ص ١٤٣.

(٤) رواه ابن السنى عن عائشة وضعفه السيوطى فى الصغير جـ٢ ص ١٦٣.

(٥) رواه بلفظ آخر كل من البخارى ومسلم فى صحيحهما وأحمد فى مسنده والترمذى والنسائى وابن ماجه وصححه السيوطى ونصه «قل اللهم إنى ظلمت نفسى ظلمًا كثيرًا وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم» الجامع الصغير جـ٢ ص ٨٧.

الاستغفار يوم الجمعة

* «في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد يستغفر الله إلا غفر له».

فجعل النبي ﷺ إذا دخل المسجد يوم الجمعة أخذ بعضادتي باب المسجد ثم قال:

* «أجعلني أوجه من توجه إليك، وأقرب من تقرب إليك، وأفضل من سألك ورغب إليك».

* «من قرأ بعد صلاة الجمعة: قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، سبع مرات، أعاذه الله بها من السوء إلى الجمعة الأخرى».

عن عمرو بن قيس الملائي قال:

* «بلغني أن من صام الأربعاء والخميس والجمعة، ثم شهد الجمعة مع المسلمين، ثم ثبت فسلم في تسليم الإمام، ثم قرأ فاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد عشر مرات، ثم مد يده إلى الله ثم قال: اللهم إني أسألك باسمك الأعلى الأعلى الأعلى، الأعز الأعز الأعز، الأكرم الأكرم الأكرم، لا إله إلا الله الأجل الأجل العظيم الأعظم، ثم يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه عاجلا وآجلا، ولكنكم تعجلون»[١].

* «من قال بعد ما تقضى الجمعة: سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة غفر الله له مائة ألف ذنب، ولوالديه أربعة وعشرين ألف ذنب».

*«أكثروا الصلاة عليَّ يوم الجمعة»[٢].

«من ذكرت عنده فلم يصل عليَّ فقد شقي»[٣].

---

(١) لم نستدل عليه.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي أمامه وعن أنس، ورواه ابن ماجه عن أبي الدرداء مع بعض الاختلاف في اللفظ وحسنه السيوطي في الجامع الصغير جـ١ ص ٥٤.

(٣) رواه ابن السني عن جابر وحسنه السيوطي جـ٢ ص ١٧١.

بـــاب
الرقى

*عن علقمة بن عبد الله قال:

«ذكر عند النبى ﷺ رقية الحية، فقال: أعرضها فعرضتها عليه: بسم الله شجة قرنية ملحة بحر قفطا، فقال: هذه مواثيق أخذها سليمان بن داود لا أرى بها بأسا، فلدغ رجل مع علقمة فرقاه بها فكأنما نشط من عقال»(١).

*وفى رواية أخرى قال عمر: وبلغنا أن رسول الله ﷺ نهى عن التفل بها.

*عن عثمان بن أبى العاص قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله كنت أذكر الناس ثم دخلنى شئ فنسيت بعضه فوضع يده على صدرى ثم قال:

«اللهم أخرج عنه الشيطان».

فأذهب الله عنى النسيان، قال عثمان ثم جئت رسول الله ﷺ مرة أخرى أصابنى وجع قال لى:

* **«ضع عليه يدك وقل: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد سبع مرات»** فأذهبه الله عنى (٢).

* وقال عثمان بن أبى العاص قلت: يا رسول الله إن الشيطان حال بينى وبين صلاتى، وبين قراءتى يلبسها على فقال رسول الله ﷺ:

«ذاك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسته فتعوذ بالله منه، واتفل عن

---

(١) لم نستدل عليه.

(٢) رواه احمد فى مسنده ومسلم وابن ماجه عن عثمان بن أبى العاص الثقفى وصححه السيوطى كما رواه الطبرانى فى الكبير والحاكم فى المستدرك عنه أيضا وصححه ـ الجامع الصغير ج٢ ص٥٢.

يسارك ثلاثا»[١].

ففعلت ذلك فأذهب الله عنى، خرجه مسلم.

وأخرج أبو داود بإسناد جيد عن أبى زميل قال: قلت لا بن عباس ما شئ أجده فى نفسى يعنى شيئا من شك قال: إذا وجدت فى نفسك شيئا فقل:[٢]

﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٣].

---

(١) رواه مسلم

(٢) رواه أبو داود.

(٣) [سورة الحديد: آية ٣].

obeikan.com

فصل

في ذكر الصباح والمساء

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾(١) وقال: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾(٢) وقال ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾(٣).

* عن طلق بن حبيب قال: جاء رجل إلى أبي الدرداء فقال: يا أبا الدرداء قد احترق بيتك، فقال: ما احترق، لم يكن الله ليفعل ذلك لكلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ من قالها أول نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسي، ومن قالها آخر نهاره لم تصبه مصيبة حتى يصبح:

«اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أعلم أن الله على كل شئ قدير، وأن الله قد أحاط بكل شئ علما، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم».

***«من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه»(٤).**

---

(١) [سورة الأحزاب: آية ٤١، ٤٢].

(٢) [سورة غافر: آية ٥٥].

(٣) [سورة ق: آية ٣٩].

(٤) رواه مسلم.

* وخرج أيضا كان نبى الله ﷺ إذا أمسى قال :

«أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير، رب أسألك خير ما فى هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما فى الليلة وشر ما بعدها. رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب النار، وعذاب فى القبر. إذا أصبح قال ذلك أيضا : أصبحنا وأصبح الملك لله»(١).

* «سيد الاستغفار اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علىَّ وأبوء بذنبى فاغفر لى، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها حين يمسى فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة»(٢).

* «ما من عبد يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة : بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم يضره شئ»(٣).

* «من قال حين يصبح أو يمسى : اللهم إنى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله الذى لا إله إلا أنت، وأنَّ محمداً عبدك ورسولك، أعتق الله ربعه من النار، فمن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار، ومن قالها ثلاثا أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار، فإن قالها أربعًا أعتقه الله من النار»(٤).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخارى.

(٣) رواه الترمذى وصححه وحسنه.

(٤) رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب.

* «من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه»(١).

* «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه»(٢).

* «من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»(٣).

* «أحب الكلام إلى الله تعالى أربع لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»(٤).

* «قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شئ»(٥).

* كان ﷺ إذا أراد أن ينام قال:

«باسمك اللهم أموت وأحيا، وإذا استيقظ من منامه قال: الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»(٦).

---

(١) رواه مسلم.
(٢) متفق عليه
(٣) متفق عليه
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه أبو داود والنسائي والترمذي وصححه وحسنه.
(٦) متفق عليه.

* كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما:

«﴿قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس﴾ ويمسح بهما ما استطاع من جسده يمر بهما على رأسه ووجه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات»(١).

* وفي حديث أبي هريرة: «إذا أويت إلى فراشك فأقرأ آية الكرسي: الله لا إله إلا هو الحي القيوم حتى تختمها فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان، فقال النبي ﷺ وسلم: صدقك وهو كذوب»(٢).

* «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»(٣).

* «إذا قام أحدكم عن فراشه ثم رجع إليه فلينفضه بطرف إزاره ثلاث مرات، فإنه لا يدري ما خلفه عليه بعده، وإذا اضطجع فليقل: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، فإنه لا يدري ما خلفه عليه بعده، وإذا اضطجع فليقل: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، فان أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظهما بما تحفظ به عبادك الصالحين»(٤).

عن علي كرم الله وجهه أن فاطمة أتت النبي ﷺ تسأله خادما فلم تجده، ووجدت عائشة فأخبرتها، قال علي: فجاءنا النبي ﷺ وقد أخذنا مضاجعنا فقال:

«ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم: إذا أويتما إلى فراشكما

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

فسبحا ثلاثا وثلاثين، وأحمدا ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربعا وثلاثين، فإنه خير لكما من خادم».

قال علي: «فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ قيل ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين»(١).

قيل من حافظ على هذه الكلمات لم يأخذه إعياء فيما يعانيه من شغل ونحوه.

* أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول:

«اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك ثلاث مرات»(٢).

«من قال حين يأوى إلى فراشه: استغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر، وإن كانت عدد رمل عالج، وإن كانت عدد أيام الدنيا»(٣).

* قال البراء بن عازب: قال لى رسول الله ﷺ:

«إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم أضطجع على شقك الأيمن وقل: اللهم أسلمت نفسى إليك، ووجهت وجهى إليك، وإلجأت ظهرى إليك رغبة ورهبة إليك، لا منجا ولا ملجأ منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذى أنزلت، ونبيك الذى أرسلت، فإن مت مت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تقول».

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود والترمذى وصححه وحسنه.

(٣) رواه الترميذى وقال حسن غريب.

* وروى ابن السنى : «**لا إله أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما أستطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، وأبوء بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، فإن مات من يومه مات شهيدا ، وإن مات من ليلته مات شهيدا**»(١) .

* «**قولى حين تصبحين : سبحان الله وبحمده ، لا قوة إلا بالله ، ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن ، أعلم أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما ، فإنه من قالهن حين يصبح حفظ حتى يمسى ، ومن قالهن حين يمسى حفظ حتى يصبح**»(٢) .

* وخرج أيضا : «**من قال حين يصبح : أعوذ بالله السميع العليم من شر الشيطان الرجيم ، أجير من الشيطان الرجيم حتى يمسى**»(٣) .

* وخرج أيضا عن ابن عباس أن رجلا شكى إلى رسول الله ﷺ أنه تصيبه الآفات فقال له رسول الله ﷺ قل :

«**إذا أصبحت : بسم الله على نفسى وأهلى ومالى فإنه لا يذهب لك شئ**»(٤) .

فقالهن الرجل فذهب عنه الآفات .

* وخرج أيضا : «**من قال إذا أصبح : اللهم إنى أصبحت منك فى نعمة**

---

(١) رواه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة .

(٢) رواه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة .

(٣) رواه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة .

(٤) رواه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة .

وعافية وستر فأتم على نعمتك وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة ثلاث مرات إذا أصبح وإذا أمسى كان حقا على الله أن يتم نعمته عليه»(١).

* عن على رضى الله عنه فى قوله عز وجل:

﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى ﴾(٢).

قال: كان عليه السلام يقول إذا أصبح وإذا أمسى:

﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ * يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ وَيُحْيِى الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾(٣).

* وعنه ﷺ أنه قال:

«من قال حين يصبح: ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾(٤) الآية كلها أدرك ما فاته فى يومه، ومن قالها حين يمسى أدرك ما فاته فى ليلته».

* «من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من آخر الحشر وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى، وإن مات فى ذلك اليوم مات شهيدا، وإن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة».

---

(١) رواه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة.

(٢) [سورة النجم: آية ٣٧].

(٣) [سورة الروم: آية ١٧، ١٨، ١٩].

(٤) [سورة الروم: آية ١٧، ١٨]

* «ومن قال صبيحة يوم الجمعة قبل صلاة الغداة: أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه، ثلاث مرات، غفر له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر».

* أخرج الطبرانى فى معجمه الكبير عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ:

* «من صلى على حين يصبح عشرا وحين يمسى عشرا أدركته شفاعتى يوم القيامة»(١).

* وفى أربعين لمحمد بن موسى بن نعمان قال: جاء من رواية أبى هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«الصلاة على نور على الصراط، من صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوبه ثمانين عاما».

* قال: وروى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:

«من صلى على فى كل يوم جمعة ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة، ومن صلى على مرة واحدة فتقبلت منه محى الله عنه ذنوب ثمانين سنة» أهـ.

* «ما خرج رجل من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاى هذا فإنى لم أخرجه أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أسألك أن تنقذنى من النار، وأن تغفر لى ذنوبى، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، إلا وكل به سبعون ألف ملك يستغفرون له، وأقبل الله عز وجل إليه بوجهه حتى يقضى صلاته».

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى الدرداء وحسنه السيوطى ـ الجامع الصغير ج٢ ص١٧٥.

* «إذا دخل أحدكم المسجد أو أتى المسجد فليسلم على النبى ﷺ وليقل: اللهم افتح أبواب رحمتك، وإذا خرج فليسلم على النبى ﷺ وليقل: اللهم أعذنى من الشيطان الرجيم».

* وقال مكرم فى حديثه «اعصمنى».

* «الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة فادعوا».

* «صلى ركعتين خفيفتين ثم سمعته يقول وهو جالس: اللهم رب جبريل وإسرافيل وميكائيل ومحمد ﷺ أعوذ بك من النار ثلاث مرات».

* كان ﷺ إذا صلى الصبح قال:

«اللهم إنى أسألك علما نافعا، وعملا متقبلا، ورزقا طيبا».

* ما صلى بنا رسول الله ﷺ مكتوبة إلا أقبل بوجهه علينا فقال:

«اللهم إنى أعوذ بك من كل عمل يخزينى، وأعوذ بك من كل صاحب يردينى، وأعوذ بك من كل أمل يلهينى، وأعوذ بك من فقر ينسينى، وأعوذ بك من كل غناء يطغينى».

* «من قرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسى والآيتين من آل عمران ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ﴾ الآية، و﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ معلقات ما بينهن وبين الله عز وجل حجاب، قلن أتهبطنا إلى أرضك وإلى من يعصيك؟ فقال الله عز وجل بى حلفت لا يقرؤكن أحد من عبادى دبر كل صلاة إلا

جعلت الجنة مثواه على ما كان منه وإلا أسكنته حظيرة القدس، وإلا نظرت إليه بعيني المكنونة كل يوم سبعين نظرة وإلا أعذته من كل عدو ونصرته منه».

* «من قال بعد الفجر ثلاث مرات وبعد العصر ثلاث مرات أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه كفرت عنه ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر».

* «من قال حين ينصرف من صلاته: سبحان الله العظيم وبحمده لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثلاث مرات قام مغفورا له».

* «إذا صليت الصبح فقل بعد صلاة الصبح: سبحان الله العظيم وبحمده، لا حول ولا قوة إلا بالله ثلاث مرات، يوقيك الله من بلايا أربع: من الجذام، والجنون، والعمى والفالج، وأما لآخرتك فقل اللهم أهدنى من عندك، وأفض على من فضلك، وانشر على من رحمتك، وأنزل على من بركاتك».

* فقال رسول الله ﷺ:

«لئن وافى بهن يوم القيامة لم يدعهن ليفتحن له أربع أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء».

* وفى رواية «لم يدعهن رغبة عنهن ولا نسيانا لم يأت بابا من أبواب الجنة إلا وجده مفتوحا».

* «إذا صليت الصبح فقل قبل أن تتكلم سبع مرات: اللهم أجرنى من النار، فإنك إن مت من يومك ذلك كتب الله لك جوارا من النار».

* «من قال حين ينصرف من صلاة الغداة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير عشر مرات قبل أن يتكلم كتب الله بهن عشر حسنات ومحى عنه بهن عشر سيئات، ورفع له بهن عشر

درجات، وكن له كعدل عشر نسمات، وكن له حرسا من الشيطان وحرزا من المكروه، ولم يلحقه فى يومه ذلك ذنب إلا الشرك بالله، ومن قالهن حين ينصرف من صلاة العصر يعطى مثل ذلك فى ليلته».

* «من صلى صلاة الصبح ثم قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ مائة مرة قبل أن يتكلم، فكلما قال: قل هو الله أحد غفر له ذنب سنة».

* «من صلى صلاة الفجر ثم قعد يذكر الله عز وجل حتى تطلع الشمس وجبت له الجنة».

* «من صلى الفجر أو قال الغداة فقعد فى مقعده فلم يلغو بشئ من أمر الدنيا يذكر الله عز وجل حتى يصلى أربع ركعات خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

* «من قال فى سوق من الأسواق: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير، كتب له ألف ألف حسنة، ومحى عنه ألف ألف سيئة، وبنى له بيت فى الجنة»:

* وفى رواية: «من قال حين يدخل السوق: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير، لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، كتب له ألفا ألف حسنة، ومحى عنه ألفا ألف سيئة ورفع له ألفا ألف درجة».

* فإن قلت: لأى شئ كان ثواب الأذكار فيه كثيرا مع قلتها وخفتها على اللسان؟ قلت: لاعتبار مدلولتها فانها كلها راجعة إلى الإيمان الذى هو أشرف الأشياء والله أعلم.

* «الذى يبدأ بالسلام أولى بالله عز وجل ورسوله ﷺ».

* «من سلم على قوم فضلهم بعشر حسنات»(٢).

* «قال السلام عليكم ورحمة الله كتب له عشرون حسنة، ومن قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، كتب له ثلاثون حسنة».

* «إذا راعه شئ قال: هو ربى لا شريك له».

* «يا على ألا أعلمك كلمات إذا وقعت فى ورطة قلها، قلت: بلى جعلنى الله فداك، كم من خير علمتنيه، قال إذا وقعت فى ورطة فقل: بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، فإن الله يصرف بها ما شاء من أنواع البلاء».

* «كان إذا خاف قوما قال: اللهم إنا نجعلك فى نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم»(٢).

* كنا مع النبى ﷺ فى غزوة فلقى العدو فسمعته يقول:

«يا مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين».

قال: فلقد لقيت الرجال تصرع تضربها الملائكة من بين أيديها ومن خلفها.

---

(١) رواه ابن عدى فى الكامل وضعفه السيوطى فى الجامع الصغير جـ١ ص ١٧٣

(٢) رواه أحمد وأبو داود والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى السنن وصححه السيوطى الجامع الصغير جـ٢ ص ١٠٥.

فصل

فيما يقول إذا خرج فى سفر

* «من خرج من بيته يريد سفرا فقال حين يخرج: آمنت بالله، اعتصمت بالله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، رزقه الله خير ذلك المخرج وصرف عنه شر ذلك المخرج».

* كان النبى ﷺ إذا سافر قال:

«اللهم أنت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل، اللهم أصحبنا فى سفرنا، وأخلفنا فى أهلنا، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد الكور، ودعوة المظلوم، وشر المنظر فى الأهل والمال».

* كان رسول الله ﷺ إذا سافر فركب راحلته قال بأصبعه ومد شعبة أصبعه قال:

«اللهم أنت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل، اللهم ازولنا الأرض وهون علينا السفر، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب».

* «أمان لأمتى من الغرق إذا ركبوا فى السفينة أن يقولوا بسم الله مجريها ومرساها إن ربى لغفور رحيم، وما قدروا الله حق قدره، الآية».

* قال أبو هريرة: ألا أعلمك شيئا علمنيه رسول الله ﷺ أقوله عند الوداع؟ قال: قلت: بلى قال قل:

«أستودعك الله الذى لا يضيع ودائعه».

* قال أبو هريرة: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ؟ إذا أردت سفرا أو تخرج مكانا تقول لأهلك:

«أستودعتكم الله الذى لا تخيب ودائعه».

* «إذا انفلت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد : يا عباد الله احسبوا ، يا عباد الله احسبوا» .

* عن يونس بن عبيد قال : ليس رجل يكون على دابة صعبة فيقول فى أذنها :

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾(١) .

كان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح ولا أعلمه قال إلا فى سفر، رفع صوته حتى يسمع أصحابه :

* « اللهم أصلح لى دينى الذى جعلته عصمة أمرى ، اللهم أصلح لى دُنياى التى جعلت فيها معاشى ثلاث مرات ، اللهم أصلح آخرتى التى جعلت إليها مرجعى ثلاث مرات ، اللهم أعوذ برضاك من سخطك ، اللهم أعوذ بك ثلاث مرات ، لا مانع لما أعطيت ، ولا مُعطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد» .

* «إن الله عز وجل رفيق يحب الرفق ، ، وإذا سافرتم فى الخصب فأمكنوا الركاب أسنتها ، ولا تجاوزوا بها المنازل ، وإذا سرتم فى الجدب فاستحثوا وعليكم بالدلجة ، فإن الأرض تطوى بالليل ، وإن تغولت بكم الغيلان فنادوا بالأذان وإياكم والصلاة على جواد الطريق فإنها ممر السباع ومأوى الحيات» .

* أن النبى ﷺ لم ير قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها :

«اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن ،

---

(١) [سورة آل عمران : آية ٨٣] .

ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها، وشر ما فيها».

* **«من نزل منزلا ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شئ حتى يرتحل من منزله ذلك».**

* عن أنس: كنا إذا نزلنا سبحنا حتى يحل الرحال، قال شعبة: يعنى سبحنا باللسان:

* **«كان إذا قفل كبر ثلاثا ثم قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير، آيبون عابدون تائبون ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده».**

* وإذا دخل على أهله قال: **«توبا توبا لربنا أوبًا لا يغادر علينا حوبا».**

فصل

[عيادة المريض]

من تمام العيادة أن تضع على المريض يدك فتقول: كيف أصبحت أو كيف أمسيت:

* «إذا دخلتم على مريض فنفسوا فى أجله، فإن ذلك لا يرد شيئًا وهو يطيب نفسه».

* «دخل رسول الله ﷺ على رجل يعوده وهو فى الموت، فسلم عليه وقال: كيف تجدك؟ فقال بخير يا رسول الله أرجو الله وأخاف ذنوبى، قال رسول الله ﷺ: لن يجتمعا فى قلب رجل عند هذا الموطن إلا أعطاه الله رجاءه وآمنه مما يخاف».

* «دخل رسول الله ﷺ على رجل يعوده فقال: هل تشتهى شيئًا؟ تشتهى كعكا: قال نعم، فطلبه له».

* «كان إذا دخل على مريض قال: أذهب الباس رب الناس، اشف أنت الشافى، لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما».

وكان حماد يقول: «لا شفاء إلا شفاؤك».

* «ما من مسلم يعود مريضا لم يحضره أجله يقول سبع مرات أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عوفى».

* «امسح بيمينك سبع مرات فقل: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد».

ففعلت ذلك فأذهب الله تعالى ما كان بى، فلم أزل آمر به أهلى وغيرهم.

* أبو هريرة قال: خرجت أنا ورسول الله ﷺ ويده فى يدى أو يدى فى يده فدخل على رجل رث الهيئة فقال:

* **«أى فلان ما بلغ بك ما أرى؟ قال السقم والضر يا رسول الله، قال: ألا أعلمك كلمات يذهب عنك الضر والسقم».**

فقال أبو هريرة أنا فعلمنى يا رسول الله قال:

«قل يا أبا هريرة: توكلت على الحى الذى لا يموت والحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك، ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيراً».

فأتى عليه رسول الله ﷺ وقد حسنت حاله فقال: فبم؟ فقال: قلت يا رسول الله لم أترك الكلمات التى علمتنى.

* **«إذا جاء الرجل يعود مريضا فيقول: اللهم أشف عبدك ينكأ لك عدواً أو يمشى لك إلى صلاة».**

* عن عثمان بن عفان قال: مرضت فكان رسول الله ﷺ يعودنى يوما فقال:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أعيذك بكلمة الله الأحد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، من شر ما تجد».

فلما استقل رسول الله ﷺ قائما قال:

«يا عثمان تعوذ بها فما تعوذتم بمثلها».

* أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الأوجاع كلها ومن الحمى أن يقولوا:

«بسم الله ا لكبير، نعوذ بالله العظيم من شر عرق نعار ومن شر حر النار».

* عن خوات بن جبير قال: مرضت فعادنى رسول الله ﷺ فقال:

«صح الجسم يا خوات، قال وجسمك يا رسول الله، قال أوف لله عز وجل بما وعدته، قلت: ما وعدت الله شيئًا، قال: بلى إنه ما من عبد يمرض إلا أحدث لله عز وجل خيراً، ففف لله وعده أو عدته»

* «من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته بى فإنها من أعظم المصائب».

* عن النبى ﷺ قال: «قال موسى لربه: ما جزاء من عز الثكلى؟ قال: أظله فى ظلى يوم لا ظل إلاظلى».

* «إذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات، ثم أنظر إلى الذى يسبق إلى قلبك فإن الخير فيه».

* «كان رسول الله ﷺ إذا أراد الأمر قال: اللهم خرلى واخترلى».

هذا آخر ما أردنا أن نورد فى هذا الكتاب على سبيل الاختصار، وفتح الباب لمن أراد الاستبصار، فخير الكلام ما قل ودل. ولم يطل فيمل.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الفاتح الخاتم، وعلى آله وصحبه ذوى المناقب والمكارم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

قال فى الفتوحات المكية: إذا قرأت فاتحة الكتاب فصل ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ بـ﴿الحمد لله﴾ فى نفس واحد من غير قطع فإنى أقول بالله العظيم، فإنى لقد حدثنى أبو الحسن على بن أبى الفتح الكبارى الطبيب بمدينة موصل منزلى سنة إحدى وستمائة وقال: بالله العظيم لقد سمعت شيخنا أبا الفضل عبد الله ابن أحمد بن عبد القاهر الطوسى الخطيب يقول: بالله العظيم لقد سمعت

والدى أحمد يقول: بالله العظيم لقد سمعت المبارك بن أحمد بن محمد المقرى النيسابورى يقول: بالله العظيم لقد سمعت من لفظ أبى الفضل بن محمد الكاتب الهروى وقال: بالله العظيم لقد حدثنا أبو بكر بن محمد بن على الشاشى الشافعى من لفظه وقال: بالله العظيم لقد حدثنى عبد الله المعروف بأبى نصر السرخسى وقال: بالله العظيم لقد حدثنا أبو بكر بن محمد بن الفضل وقال: بالله العظيم لقد حدثنا أبو عبد الله محمد بن على بن يحيى الوراق الفقيه وقال: بالله العظيم لقد محدثنى محمد بن حسن العلوى الزاهد وقال: بالله العظيم لقد حدثنى أبو بكر الراجعى وقال: بالله العظيم لقد حدثنى عمار بن موسى البرمكى وقال: بالله العظيم لقد حدثنى أنس بن مالك وقال: بالله العظيم لقد حدثنى على بن أبى طالب وقال: بالله العظيم، لقد حدثنى أبو بكر الصديق وقال: بالله العظيم، لقد حدثنى محمد المصطفى ﷺ وسلم وقال:

«بالله العظيم لقد حدثنى جبريل وقال: بالله العظيم لقد حدثنى إسرافيل وقال: بالله العظيم لقد حدثنى الله سبحانه وتعالى: يا إسرافيل بعزتى وجلالى وجودى وكرمى، من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بفاتحة الكتاب مرة واحدة، اشهدوا على أنى قد غفرت له وقبلت منه الحسنات، وتجاوزت عنه السيئات، ولا أحرق لسانه فى النار، وأجيره من عذاب القبر وعذاب النار وعذاب القيامة والفزع الأكبر، ويلقانى قبل الأنبياء والأولياء أجمعين».

والحمد لله رب العالمين.

كمل كتاب (مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح فى ذكر الله الكريم الفتاح) وكان الفراغ منه فى يوم الثلاثاء تاسع عشر من شهر الله شعبان المكرم عام إحدى وستين وثمانمائة عرفنا الله خيره، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة التحقيق	٥
التعريف بابن عطاء الله السكندرى	١٠
مقدمة القسم الأول فى ماهية الذكر وبيانه	١٦
فصل: نتيجة الذكر	١٧
فصل: الذكر يحرق الخبث	١٨
فصل	٢١
الأصل الأول: فى دليله من الكتاب	٢٣
فصل: فى فضل الذاكر على غيره	٢٨
باب: الجهر بالذكر	٣٢
فصل: فى التحذير من ترك الذكر	٣٢
فصل: من آثار السلف رضى الله عنهم	٣٣
الأصل الثالث: الإخلاص	٣٥
القسم الأول: أن يكون الباعث روحانيا فقط	٣٥
القسم الثانى: أن يكون الباعث نفسيا	٣٦
فصل: فى آداب الذكر	٣٧
باب: فوائد الذكر على الأجمال	٤٠
باب: فى فوائد أذكار مما يستعمله المريد السيار	٤٥
الذكر باسماء الله	٤٥
فصل	٤٧
فصل	٥٠
باب: فى أختيار الذكر	٥٢
باب: تدريج السالك بالأذكار	٥٧

obeikan.com

الموضوع	الصفحة
فصل: الاستغفار.....	٥٩
باب: فى ذكر الخلوة.....	٦٤
باب: التوحيد.....	٦٩
فصل.....	٧٠
باب: المعرفة.....	٧١
القسم الثانى: المعرفة الخاصة.....	٧٢
فصل : فى الذكر وقراءة القرآن. أيهما أفضل.....	٧٣
فصل: كلمة التوحيد.....	٧٧
فصل: فى الذكر الأقوى.....	٧٨
فصل: آفات وعلامات فى طريق السائرين.....	٨٠
باب: ما ينبغى لأهل الطريق أن يأخذوا أنفسهم به ويلازموه	٨٢
القسم الثانى من الكتاب فى شرح الأذكار	٨٧
فصل: فى مباحث تتعلق بكلمة لا إله إلا الله.....	٨٧
المبحث الأول:.....	٨٧
المبحث الثانى:.....	٨٧
المبحث الثالث:.....	٨٨
المبحث الرابع:.....	٨٩
المبحث الخامس: (فى الاستثناء).....	٩٠
المبحث السادس:.....	٩١
المبحث السابع: (الاثبات والنفى).....	٩٢
المبحث الثامن: (استحالة وجود إلهين).....	٩٣
المبحث التاسع: (فى أسرار لا إله إلا الله).....	٩٤
فصل: فى إقامة الدليل على أنه لا شريك له عقلا ونقلا.....	٩٥

obeikan.com

الموضوع	الصفحة
فصل: (فى الشهادة عند الموت).....	١٠٣
فصل: (أفضل الذكر كلمة لا إله إلا الله).....	١٠٦
فصل: (فى فضل لا إله إلا الله).....	١٠٩
فصل: (ذكر العارفين فى تفسير لا إله إلا الله وجوها).....	١١١
فصل: (الله).....	١٢٥
فصل: (فضل شهادة لا إله إلا الله).....	١٢٨
خاتمة الكتاب: وهى فيما ورد من الأذكار فى أحوال وأوقات فى الليل والنهار.....	١٣١
فصل: (الاكثار من الاستغفار).....	١٣٥
الاستغفار يوم الجمعة.....	١٣٦
باب: الرقى.....	١٣٧
فصل: فى ذكر الصباح والمساء.....	١٣٩
فصل: فيما يقول إذا خرج فى سفر.....	١٥١
فصل: فى عيادة المريض.....	١٥٤

obeikan.com